النزعة الإنسانية في شعر "عبدالله الرشيد"

إعداد

دكتور / ماهر فؤاد إبراهيم الجبالي

الأستاذ المشارك في كلية العلوم والآداب بالقريات -

جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية

(Jouf University)

الأستاذ المساعد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ -

جامعة الأزهر

الشكر والعرفان

أتقدم بخالص الشكر ووافر العرفان إلى جامعة الجوف
بالمملكة العربية السعودية على دعمها المتواصل للبحث
العلمي ،الذي أفدت منه ؛ حيث تم دعم هذا المشروع من
قبل الجامعة ،تحت مشروع بحثي رقم (٤٠/١٣)
فأرفع للجامعة والقائمين عليها أسمى آيات التقدير والاحترام

كما أقدم شكري وتقديري وعرفاني إلى جامعة الأزهر
في مصر على دعم أبنائها من الأساتذة وطلاب العلم

النزعة الإنسانية في شعر "عبدالله الرشيد"

ماهر فؤاد إبراهيم الجبالي

كلية العلوم والآداب بالقريات – جامعة الجوف بالمملكة العربيـــة الســـعودية (Jouf University)

قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ – جامعة الأزهر

الملخص

يقصد بالنزعة الإنسانية التعبير عن التسامي، وتغليب الجانب الروحي والنفسي على البيولوجي، والسعي إلى إعلاء الفكر الإنساني، وتصوير إنسانية الإنسان والتعاطف معه، بغض النظر عن دينه ، ولونه ، وجنسه ، والسعي إلى إعلاء الفكر الإنساني الحرّ .

وهذه النزعة لا يخلقها في الإنسان إلا شعوره بالمسئولية تجاه من حوله من بني جنسه .

وتسعى هذه الدراسة إلى تتبع النزعة الإنسانية في الشعر السعودي ، عند الشاعر "عبدالله الرشيد " ، وهو واحد من أبرز شعراء المملكة في الوقت المعاصر .

وقد حاولت الدراسة تحليل مضامين هذه النزعة ، ونقل صورها عبر الاطلاع على دواوين الشاعر ، معتمدة على المنهجين : الموضوعاتي ، والإنشائي؛ للوصول إلى ألوان الشعر الإنساني ومضامينه الموضوعية والفنية ، وترصد جوانب مهمة في حياة الشاعر الخاصة (الإنسان الذات) كالأمل ، والوفاء، والصدق، والمصارحة مع النفس ...وغير ذلك من هذه الخلال الحميدة التي سنها الشعر العربي ، وفي حياة (الإنسان الآخر) كالآمال ، والآلام، والصراعات البشرية، وغير ذلك .

الكلمات المفتاحية: الإنسانية، عبدالله الرشيد، الذات والآخر، الشعر السعودي، القيم .

Humanism in the poetry of Abdullah al-Rasheed

Maher Fouad Jebali

Faculty of Science and Literature in Qur'an - Al-Jouf University

Department of Literature and Criticism at the Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Kafr Al-Sheikh - Al-Azhar University

Abstract:

Humanism means the expression of sublimation, the spiritual and psychological side being overpowered by the biological, the pursuit of uplifting human thought, the depiction of human humanity and sympathy for it, regardless of its religion, color, and gender, and seeking to uphold free human thought.

This tendency is not created by a person except by his feeling of responsibility towards those around him of his own race.

This study seeks to track the humanism in Saudi poetry, according to the poet "Abdullah Al-Rasheed", which is one of the most prominent poets of the Kingdom at the present time.

The study attempted to analyze the implications of this tendency, and convey its images by reviewing the poetry collections, based on the two approaches: thematic and the structural; to reach the human hair colors and its objective and artistic implications, and it monitors important aspects of the poet's private life (self-worth) such as hope, fulfillment, and honesty. Being open with the soul ... and other such benign abnormalities enacted by Arab poetry, and in the life of (the other person) such as hopes, pain, human struggles, and so on.

Key words: humanity, Abdullah Al-Rashid, the self and the other, Saudi poetry, values.

المقدمة *

لاشك في أن الإنسانية هي شعور الإنسان بمسئولياته نحو أخيه الإنسان، وهي نزعة لا يخلقها في الإنسان إلا الخير والفضيلة والإيثار ، والتأثر بآلام الآخرين، والارتياح لما تناله البشرية من راحة وطمأنينة، وبث شعاع الأمل في قلوب اليائسين.

ولا تعني النزعة الإنسانية تصوير نزعة الحزن التي تلحق بالإنسان من جراء تناقضات الحياة وصراعاتها ، بل تنظر – أيضا – إلى الحياة على أنها في حد ذاتها شيء رائع يستحق أن يعيشه الإنسان مهما احتوى من صراعات وتناقضات وآلام.

ولعل التحول المادي في حياة بعض من المجتمعات جعل كثيرا من النقاد يرون أن تحقق النزعة الإنسانية ضرب من التصوف لا يصل إليه إلا الصفوة من الأدباء ؛ لأن الأديب حينها يهتم بذوات الآخرين ويغفل ذاته ، ويشارك الناس آلامهم وآمالهم ، ويتمنى الخير للبشرية بأسرها ، ويرسم في مخيلته حياة مثالية خالية من جفاف الواقع ومن الحقد والرذيلة التي كادت أن تملأ عالم البشر، وقد أكد هذه الرؤية " شوقي ضيف" حينما قال: "وما أشبه هذه النزعة بنزعة التصوف، فكلاهما حلم وخيال، يحلم الصوفي بربه، ويحلم الإنسان بعالم لا يمكن أن يراه، ومن ذلك فهو يكثر من التفكير فيه والتعلق به، حتى يظنه حقيقة من الممكن أن تقع تحت بصره، فما يزال يهيب بالناس والأمم أن يقفوا ليتأملوا معه، فيبصروا العالم الحق، ويفروا إليه من عالمهم: عالم الآلة والشر"(١).

---

* هذا البحث: مشروع بحثي مدعوم من جامعة الجوف برقم (٤٠/١٢)

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ص ٥٨– ٥٩

ومن ثم تتضح أهمية هذه الدراسة ؛ التي ترفد هذه الجوانب في الشعر الحديث من خلال التطبيق على الشاعر " عبدالله الرشيد "، ومن ثم كان عنوان الدراسة :" النزعة الإنسانية في شعر عبدالله الرشيد "

مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة الدراسة بالسؤال البحثي التالي:

هل النزعة الإنسانية تشمل القيم الخلقية من وفاء وإخلاص وغيرهما ؟ أم أنها تعني كل ما يتعلق بالإنسان من تعبيره عن ذاته ، وتصوير آلامه وآماله ؟ وأيضا تصوير علاقته بمجتمعه وعروبته وإسلامه؟

دوافع الدراسة:

وقد كان اختياري لشعر / عبدالله الرشيد بوصفه نموذجا للشعر الإنساني ؛ وذلك يرجع إلى إعجابي الشديد بهذه السمة في شعره – تحديدا – فالرجل ينطلق من مبدأ إيماني بالإنسان ،والوطن، والوفاء ، والصداقة، والانتماء ، والصدق الإنساني والمهني ، وقد عكفت على دواوينه ؛لاستكناه أسرار شعره في هذا الجانب ؛ فلفت نظري هذا الكم من الإبداع الأدبي الذي يأتي في صورة إنسانية شعرية صادقة ، وربما كان مرد ذلك إيمان الشاعر بأن الشعر انفعال وليس فعلا ، فالشعر بعاطفته انفعال بتجربة شعورية معينة ، ثم يأتي دور الفعل وهو تنقيح هذه التجربة في ثوب قشيب من التراكيب والصور البديعة المؤثرة ، والشعر عنده معاناة ، والمعاناة خيط ينتظم الشعر كله ، الذي يعد الاتجاه الإنساني فيه أصدق وأجمل ألوانه .[1]

---

١) اقتباسات من كلمات للشاعر في برنامج " متعة الأدب " على قناة المجد السعودية بتاريخ ٢٠١٤/٥/٩م

أهداف الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على ظاهرة " النزوع الإنساني " في الشعر السعودي، وبيان معالمها من خلال شعر الشاعر "عبدالله الرشيد".
- الكشف عن القيم الإنسانية التي تتضح معالمها في شعر الرشيد ، وأهمها آلام الإنسان وآماله .
- محاولة الإفادة من الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة في رصد الظاهرة وإيقاف القارئ عليها من خلال شعر " الرشيد ".
- الإسهام بدراسة أدبية فنية تتصل بموضوع له مردود قيمي وخلقي على المجتمع .
- توجيه الاهتمام إلى هذه النماذج من الموضوعات ذات البعد الإنساني والديني في الوقت ذاته.

أهميَّة الدِّراسة:

- تقع هذه الدراسة ضمن سلسلة من المحاولات التي تهدف إلى مواجهة إحدى مشكلات العصر، وهي ضعف الحس الإنساني ، لاسيما في القضايا المصيرية الكبرى، التي تحدق بوطننا العربي والإسلامي ؛ والتي تحتاج دوما إلى تجديد الدماء فيها، وتناولها بشتى أشكالها .
- يمكن أن تدفع هذه الدراسة القائمين على تدريس الأدب العربي إلى البحث عن استراتيجيات تدريسية جديدة وجذابة تشد الطلاب إلى الاطلاع على الأدب العربي ، لاسيما في هذا الموضوع الذي يعزز قيم العروبة وغيرها من القيم الإنسانية .
- تسهم هذه الدراسة في زيادة الحس الأخلاقي، والقيم التربوية التي تدفع القراء إلى التعايش معها؛ لأنها تلمس وترا اجتماعيا إنسانيا .
- تؤكد هذه الدراسة العلاقة الوطيدة بين الأدب والمجتمع .

الدراسات السابقة :

لقد أفاد البحث مِن بعض الدراسات السابقة، في تناول شعر " عبدالله الرشيد " ،ومن أهم هذه الدراسات ما يلي :

١- دراسة بعنوان :الشعر السعودي الحديث وأثره في تعزيز الانتماء العربي الثوابت والمستجدات، إعداد الدكتور / مجدي الخواجي، نشرت في مجلة جامعة دمشق ،المجلد ٢٤ – العدد الرابع عام٢٠٠٨م، وقد هدفت الدراسة إلى الكشف عن أهم ملامح الانتماء، ومدى أثر الشعر السعودي في تعزيزه.

٢- دراسة مطولة بعنوان : تقليب الجمر بأصابع اللغة الأنيقة، قراءة في ديوان: (نسيان يستيقظ) للشاعر عبد الله بن سليم الرشيد، لسامي بن عبد العزيز العجلان- نشرت في ملف الآطام في نادي المدينة الأدبي. كما نشرت متفرقة في موقع" الجزيرة " بالشبكة العنكبوتية بدءا من تاريخ ٦شعبان عام ١٤٣٢هـ في العدد (١٤١٦١).

٣- دراسة بعنوان : ذاكرة الشعر وتذكر الشاعر- التجربة الشعرية لعبدالله بن سليم الرشيد ، للدكتور / محمد بن سعيد الدكان-صادرة عن مؤسسة الانتشار العربي- نشرها نادي أبها الأدبي .

٤- دراسة بعنوان / عبدالله سليم الرشيد – حياته وشعره، إعداد الباحث / مانع بن خلف بن جلاب الشمري ؛ طبعت في دار أمجد للنشر والتوزيع – عمان – الأردن ٢٠١٧م.

٥- دراسة بعنوان :أبنية الخطاب الشعري عند عبد الله بن سليم الرشيد (دراسة نصية) إعداد / زكية مطر زايد الفضلي- رسالة ماجستير – في جامعة الكويت عام ٢٠١٥م.

التعليق على الدراسات السابقة

وخرجت هذه الدراسات– وهي أهم ما وقعت عليها يدي – بعدة نتائج ينحصر جلها في الإشارة إلى فكرة التفوق الإبداعي عند الشاعر في مجالات الشعر المختلفة .بيد أنها لم تقف كثيرا عند فكرة النزوع الإنساني التي يركز عليها هذا البحث.

- فقد ركز بحث الدكتور / مجدي الخواجي على فكرة واحدة من أفكار الشعر الإنساني– الذي يشمل العديد من الاتجاهات كما سيعرض البحث – وهي فكرة المواطنة.
- كما ركزت دراسة سامي العجلان على ديوان واحد من دواوين الشاعر وهو ديوان " نسيان يستيقظ " وسعت إلى القراءة لمقاربة النسق الشعري الخاص الذي يحمله هذا الديوان ، وجاءت فيها إشارات قليلة جدا لفكرة النزوع الإنساني.
- كما ركزت دراسة الدكتور محمد الدكان على الوقوف على التجربة الشعرية في ديوان " نسيان يستيقظ "، ولعلها من أقرب الدراسات التي فتحت لي الحديث عن تجربة النزوع الإنساني في شعر الرشيد.
- وقد تعرض بحث :عبدالله سليم الرشيد – حياته وشعره إلى فكرة النزوع الإنساني في شعر عبدالله الرشيد ، لكن في عرض موجز وغير مكتمل ؛ وذلك لطبيعة الدراسة التي جعلها الباحث لحياة الشاعر وشعره ، بشكل عام .
- وأما عن دراسة :أبنية الخطاب الشعري ،فتعد من أهم الدراسات التي تناولت شعر الشاعر بالتحليل الفني ، ووقفت على كثير من الجوانب الفنية ومن أهمها " التناص "

وقد كانت هذه الدراسات بالنسبة للباحث معالم يهتدي بها في مجال دراسته ، كما شكلت قاعدة انطلاق للدراسة الحالية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في تركيزها على عرض مفاهيم النزعة الإنسانية وألوانها المتعددة التي تشمل المواطنة ،والانتماء، والقيم الخلقية، والعروبة، والحب الإنساني ، وغير ذلك مما تناوله الشاعر " عبدالله الرشيد " ،كما سيرد –بأمر الله تعالى – في ثنايا البحث.

وهناك دراسات غير مباشرة تتعلق بدراسة الشاعر من زوايا مختلفة مثل :

- بحث :ديوان خاتمة البروق لعبدالله الرشيد – مقاربة سيميائية للعناوين ، د/ ماهر الجبالي ، نشر في مجلة قطاع كليات اللغة العربية ، والشعب المناظرة لها بالقاهرة، العدد الثاني عشر ٢٠١٨م.
- وبحث: استلهام التراث في شعر عبدالله بن سليم الرشيد– دراسة إنشائية ، للباحثة / سارة بنت سليمان الدريهم – ماجستير– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – قسم اللغة العربية ، تخصص البلاغة والنقد عام ١٤٣٩هـ.

وقد كانت هذه الدراسات ، وغيرها مما يتعلق بدراسة النزعة الإنسانية في الشعر العربي – مما هو مدرج في قائمة المصادر والمراجع – روافد مهمة أمدت الباحث بأدوات التحليل الموضوعي والفني في تعامله مع النصوص الشعرية في مدونة الشاعر.

تقسيم البحث: تقتضي طبيعة هذا البحث – بأمر الله تعالى – أن يأتي في مقدمة يعرض الباحث فيها سبب اختيار الموضوع والمنهج المتبع ، ومشكلة البحث ، ثم يأتي البحث بعد ذلك في تمهيد ، و فصلين ، ثم خاتمة ، ثم فهارس فنية ، وذلك على النحو التالي :

التمهيد : ويشمل :١– مفهوم النزوع الإنساني٢– لمحة عن الشاعر

الفصل الأول : الإنسان " الذات " وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : إبراز نقائص النفس .

المبحث الثاني : الجنوح إلى الكمال .

المبحث الثالث : الذات والزمن .

الفصل الثاني: الإنسان "الآخر " : ويأتي هذا الفصل في مبحثين :

المبحث الأول: آلام الإنسان .

المبحث الثاني :آمال الإنسان .

ثم تأتي " **خاتمة البحث** " وفيها أهم النتائج التي توصل الباحث إليها.

ثم "الفهارس الفنية" ، والمتمثلة في : ثبت المصادر والمراجع ، وثبت المحتويات.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على معطيات المنهجين: الموضوعاتي، والإنشائي ؛ حيث تتبعت فُكيرات الشاعر أو (ثيماته) الشائعة، وذلك عن طريق المنهج الموضوعاتي الذي يجنح إلى معنى " التجرد العلمي " ، كما تتبعت طريقة الشاعر في التعبير عن هذه الموضوعات، وكيف صارت بذلك مندرجة في الأدب؛ فاستخدمت المنهج الإنشائي.

هذا والله أسأل التوفيق والسداد، ومنه أستمد العون ، وعليه التكلان.

د/ ماهر الجبالي

التمهيد:

المحور الأول : مفهوم النزوع الإنساني :

الإنسانية : مصدر صناعي من كلمة إنسان ، وهي كلمة لم تعرف إلا في عصرنا الحديث بعد أن اتصلنا بالمعارف الإنسانية ، واقتبسنا من علومها وآدابها ، وفنونها ، وشاع استعمالها في أدبنا المعاصر بعد أن أخذ يهتم بالإنسان ، وقضاياه العادلة (١).

والنزعة الإنسانية التي أعنيها: كلمة مطلقة تدعو إلى المساواة بين بني البشر، فلا تقف على لون، أو طبقة، ولا تعترف بالقومية .

فالإنسانية- على النحو السابق – هي تحقيق للمبادئ الدينية التي تطلب من الإنسان التحلي بالفضائل من الخير والحق والعدل والرحمة . كما أنها تعبير عن أزمة الإنسان المعاصرة وتصوير أحاسيسه وأفكاره وتطلعاته، وهي تهتم بإبراز الجانبين: "المظلم والمضيء في حياة البشر ؛ فليست الحياة جهمة كلها، وإنما هي تتضمن إلى جانب الجهامة صورًا من الإشراق كذلك، ونفس الشاعر التي تتسع لاستيعاب كل أشكال الحياة ينبغي أن تهزها الأشكال المشرقة كما تستوقفها الصور الجهمة"(٢).

والإنسانية كما هي تعبير عن الذات وما تشعر به ، هي أيضًا تعبير عن الآخر من بني الإنسان ، ولو جاز لنا التعبير لقلنا : إنها دفاع عن

---

(١) ينظر : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، د/ مفيد محمد قميحة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠١هـ=١٩٨١م، ص٢٥ .

(٢) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/ عز الدين إسماعيل، طبعة المكتبة الأكاديمية ط الخامسة سنة ١٩٩٤م، صـ ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

الإنسان في مستوييه: العام والخاص، ومن ذلك وضعنا المنطلق الذي تقوم عليه هذه الدراسة .

والأدب بطبعه فن إنساني، ولا تقتصر إنسانية الأدب على عصر دون عصر؛ لأننا نتحدث من خلالها عن الإنسان الذي هو صنعة الله في أرضه يوم خلقها .

وقصر ظهور النزعة الإنسانية على الأدب الحديث واهتمام الأدباء فيه بالطبقات الكادحة، ومهاجمة الظالمين والتعاطف مع المحرومين؛ هو قصر لا مبرر **له؛ لأنه** يضيق مفهوم الإنسانية في الأدب .

فالشاعر القديم الذي كان يعبر عن محنته مع الدهر، وحزنه من الطبقية وشكوى الفقر ليس بمنأى عن النزوع الإنساني .

والإنسانية هي انطلاق الإنسان من ساحات الخير والحق والجمال؛ لينشر المحبة والسلام والتصالح مع النفس ومع الحياة .

والنزعة الإنسانية –في مفهومها الأقرب إلى ذهني – تسعى إلى تصوير إنسانية الإنسان، وتهتم بالتسامي، وتغليب الجانب الروحي والنفسي على المادي والحسي ، والسعي إلى إعلاء الفكر الإنساني الحرّ .

وهذه النزعة لا يخلقها في الإنسان إلا شعوره بالمسئولية تجاه من حوله من بني جنسه .

"وما أشبه هذه النزعة الإنسانية بنزعة التصوف فكلاهما حلم وخيال، يحلم الصوفي بربه، ويحلم الإنسان بعالم لا يمكن أن يراه ؛ و لذلك فهو يكثر من التفكير فيه والتعلق به، حتى يظنه حقيقة من الممكن أن

تقع تحت بصره، فما يزال يهيب بالناس والأمم أن يقفوا ليتأملوا معه، فيبصروا العالم الحق، ويفروا إليه من عالمهم عالم الآلة والشر" (١).

والنزعة الإنسانية لا تعني تصوير جانب الحزن عند الأديب، هذا الحزن الذي يتولد من تناقضات الحياة وصراعاتها، وإنما هي تنظر – أيضًا– إلى الحياة على أنها شيء يستحق أن يتمتع به الإنسان ويعيشه ؛ مهما احتوى من صراعات وتناقضات وآلام، وأيضًا أن يواجه الإنسان هذه الآلام ويتحدى الصعوبات ويتغلب على أحزانه وآلامه ، وهذا ما يجعلنا نصنف نزعة التفاؤل عند بعض الشعراء ضمن الشعر الإنساني .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن تناولي للنزعة الإنسانية عند الشاعر ينطلق من محورين:

١– حديث الشاعر عن ذاته وآماله وآلامه الإنسانية وهو ما يعرف بـــ "الذاتية ".

٢– وحديث الشاعر عن الآخر ، وتصوير قضاياه الإنسانية وهو ما يعرف بـــ" الغيرية" .

وهو في هذين المحورين لم يبتعد عن المهمة الأساسية للشاعر في أنه فنان يعبر عن ذاته ، ولا ينسى ذوات الآخرين .

---

(١) ينظر: دراسات في الشعر العربي المعاصر، طبعة دار المعارف – مصر ، ١٩٧٩م،صـــ ٥٨ ، ٥٩ .

المحور الثاني : الشاعر في كلمات [١].

الشاعر / عبد الله بن سليم بن أحمد الرشيد، ولد في بلدة لُفاط في منطقة الرياض عام ١٣٨٥ ه – ١٩٦٥ م وهو أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، له عدد كبير من البحوث الأدبية والنقدية الرصينة، وله عدد من الدواوين الشعرية [٢].

وتتجلى فرادته في نتاجه العلمي والأدبي، ويظهر ذلك بوضوح في اختيار المجالات الموضوعية لبحوثه ودراساته، فهو يرتاد في الغالب الأعم الموضوعات التي لم يلتفت إليها الباحثون، إمَّا لصعوبة مسلكها، وإمَّا لغفلتهم عنها. ومن ثَمَّ كان له فضل السبق إليها، وتذليل صعبها، حين اكتنف مجاهيلها، وأخضعها للدرس العلمي الرصين. وهذه السمة تبدو ظاهرة في عدد من كتبه وبحوثه ، كدراساته الطَّريفة عن: (الشعر المنسوبُ إلى الجِنّ وعلاقته بمفهوم الشعر عند العرب)، و(شَعْرنة الحياة: دراسة في بعض أسجاع العرب الاجتماعية)، و(الطب والأدب: التمازج التاريخي والفني)، و(رثاء الشاعر للشاعر في العصر الحديث)، و(البحث عن الذات: نظرات في شعر بعض المغمورين في العصر العباسي). ومن كتبه التي تتسم بطرافة المضمون كذلك: (مقطّعات الأعراب النثرية إلى نهاية القرن الرابع في المصادر الأدبية جمعاً وتوثيقاً)، و(مجتمع البادية القديم من خلال مقطعات الأعراب)، و(أدب الصحراء: دراسة في مقطعات الأعراب النثرية)، و(الأفاكيه والنوادر مدخل

---

(١) سأكتفي هنا بالإشارة إلى تعريف مختصر للشاعر حيث عرفت به بصورة كاملة في بحثي عنه الذي جاء تحت عنوان: ديوان خاتمة البروق لعبد الله الرشيد مقاربة سيميائية للعناوين. والذي نشر في مجلة قطاع كليات اللغة العربية في القاهرة، العدد الثاني عشر ٢٠١٨م .

(٢) سيرة الشاعر الذاتية مخطوطة لدى الباحث .

لتدريس فنون اللغة العربية)، و(مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي) وهذا الأخير يُعد من أوائل الكتب التي تحدثت عن عتبة العنوان في الشعر السعودي.

وأمَّا في نتاجه الإبداعي، فتبدو الفرادة في تسميات دواوينه الشعرية، التي يتلفع كل ديوان منها بشعرية في عنوانه، تستدرج المتلقي إلى محاولة فك شفرة العنوان، عبر القراءة والولوج إلى عالم الرشيد الشعري؛ لتوقعه من ثَمَّ في شَرَك لغة شعريّة مكثفة، لا يمكن للقارئ معها إلا أن يستحضر كل حواسه؛ ليدرك أبعاد جمال عوالم الرشيد الشعرية، على نحو ما تشي به دواوينه: (خاتمة البروق)، و(حروف من لغة الشمس)، و(أوراق العشب النبيل)، و(نيسان يستيقظ)، و(قنديل حذام)[1].

وهو شاعر تعرفه من شعره، يعيش الشعر انفعالًا لا فعلًا، يسكن الشعر في شرايينه على حد قوله:

أراد نطاسي ليأخذ من دمي ۞ فلما أمرّ المشرط انبثق الشعر[2]

تتوامض في شعره نزعات إنسانية وهّاجة، تجد مثالها في قوله عن الصداقة والصديق :

ما قيمة الودّ إن كانت غمامته ۞ فوقي وعند سواي الخصب والمطر؟

يا ليته انزاح مصحوبًا بغُمّته ۞ حتى تضيء علي الشمس والقمر

---

(١) ينظر: مقالة : د/عبدالله الرشيد –صائد الفرائد ، د.سالم بن وصيل السميري ، موقع الجزيرة com،الشبكة العنكبوتية(http://www.al-jazirah.com/2018/20180210/cm17.htm)، منشور بتاريخ ٢٠١٨/٢/١٠م .

(٢) غلاف ديوانه : حروف من لغة الشمس، ط دار المعراج الدولية للنشر، الطبعة الأولى عام ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

أغايــة الــودّ تســليم وبهرجــة ۞ عنــد اللقــاء ، وعنــد الغيبــة الشــزر؟
أنــا الصــديق المفــدّى، كلمــا عرضــت ۞ حاجــاتهم أقبلــوا كــالريح وابتــدروا
حتــى إذا أدركــوا مــا أمّلــوا خلصــوا ۞ مــني نجيّــا، ولم أمــنن ومــا شــكروا(١)

والرشيد شاعر يتطلع دومًا إلى إثراء تجربته الشعرية وتعميقها فنيًا... وله حضور مميز في شعره (٢).

كما أن لغة الشعر عند الرشيد حالة تقتضي الوقوف أمامها؛ فالمعجم الشعري عنده هو المكان واللغة، وهو الذي يبرز لنا اختلاف الرشيد عن غيره من المتشاعرين ؛ فاللغة التي ينتمي إليها الشعراء واحدة ،لكن الاختلاف يكمن في المعجم الشعري لكل شاعر (٣).

ومن ثم يمكن القول : إن قصائد الشاعر اتسمت موضوعاتها بالتنوع والثراء بما يجعلها الأكثر خدمة للشعر واللغة والمجتمع العربي والإسلامي ، والأقرب إلى التفاعل الجماهيري .

بل هو في جملة مختصرة شاعر يمارس الشعور لا الشغور، وفرق كبير بين الامتلاء والخواء

ولا أود استباق الاحداث في إصدار حكم على الشاعر، وإنما أردت بهذه الكلمات التعريف به من خلال شعره (٤).

---

(١) قصيدة :كلمات للوجوه الملفقة ، ديوان حروف من لغة الشمس، صـــ٣٦ .

(٢) ينظر : ذاكرة الشعر وتذكر الشاعر – التجربة الشعرية لعبد الله الرشـــيد ، بقلـــم د/محمد بن سعد الدكان – مطبعة نادي أبها ،الأولى ٢٠١٣م ، صـــ ٤١ .

(٣) ينظر : السابق، صـــ ١٥ ، ١٦ .

(٤) ورد تعريف الشاعر في بحث لصاحب هذه الدراسة بعنوان : ديوان خاتمة البروق لعبدالله الرشيد – مقاربة سيميائية للعناوين ، نشر في مجلة قطـــاع كليـــات اللغـــة العربية، والشعب المناظرة لها ، العدد الثاني عشر ٢٠١٨م، ص٢٣٠٣وما يليها.

الفصل الأول : " الإنسان الذات"

ويشمل :

المبحث الأول : إبراز نقائص النفس

المبحث الثاني: الجنوح إلى الكمال

المبحث الثالث: الذات والزمن

المبحث الأول : إبراز نقائص النفس

عبر الشعراء الرومانسيون في أشعارهم عن النزوع الإنساني ، والنزعة الوجدانية بشكل لافت ؛ حتى رأى أحدهم وهو " الهمشري " أن أعذب الألحان ما أفرغت فيه أنّات الأسى ، أي ما مثل الذات الشاعرة ، بما تحمل من عواطف أسيانة ، وانفعالات حزينة "[١]

وقد انطلق شاعرنا " عبدالله الرشيد" معبرا عن هذا النزوع الوجداني ، لا أقول متاثرا أو مقلدا لشعراء الرومانسية ، وإنما عبر عما يشعر به بوصفه أديبا يمتلك الأدوات الفنية التي يعكس بها ما في نفسه تجاه الحياة والذات؛ لأننا – ومن مبدأ النقد المنصف – لا نستطيع أن نصنف أي أديب تحت أي اتجاه أدبي بصورة حتمية ؛ فقد نجد في أدب الأديب الواحد تعبيرا عن كل الاتجاهات والمذاهب الأدبية دون أن يقصد هو إلى ذلك ؛ وهذا يدل على صدق النزوع الإنساني المُقّدم على صدق التمذهب الفني .

و"الرشيد" دائم البحث عن ذاته في أشعاره، ولعل رؤيتي فيه– بعد قراءة شعره– تؤكد أن كل قصائده الوجدانية كأنها مرآة تنعكس على صفحاتها حياته وآماله وآلامه.

وفي شعره الوجداني هذا وجدنا الشعر الإنساني الذي ينقل لنا– في صدق– بعض نقائص نفسه البشرية في نقد موضوعي لذاته قلما نجده عند غيره من الشعراء ، وليس أصدق على ذلك من هذه المصارحة التي

---

(١) ينظر : القصيدة الرومانسية في مصر ، د/ يسري العزب ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦، ص٣١ . والشعرالعربي الحديث ،د/ سوسن رجب ،ط مكتبة المتنبي بالرياض ٢٠١٧م ، ص١١٩ .

دونها الشاعر على أحد أغلفة دواوينه، حينما كتب على ظهر غلاف ديوانه "نسيان يستيقظ"[١] عنوان: "مما قيل في ذم شعره"، وفيه عدَّد بعض النقدات الصريحة والهادمة لأشعاره.

وهذا النوع من المكاشفة مع الذات- ومع الآخرين- يدل على أننا أمام شاعر لا يغريه المدح الزائف، ولا المجاملات الرخيصة، وإنما يجعل وكده تقويم الذات والاعتراف بقصورها وتقبل نقدها، ولذا فلا عجب أن نراه في أشعاره يصور نقائص هذه النفس البشرية في شكل من أشكال المصارحات الشعرية .

ومن هذا اللون قصيدته "موجز خيبة"[٢]، التي يقول فيها:

نصف شعري جُمل معترضه

وأنا ما بين قوسين أغنّي

قلمي يلبس وجهين وفمي

صامت الرغبة مكبوح التمني

خافقًا يبقى غنائي قبل أن

يتخطى الأوجه المنقرضه

إنني أجّلت أشواقي إلى

أن تحين الساعة المفترضه

هكذا أبدأ شعرًا مفرغًا

(١) طبعة مؤسسة الانتشار العربي ٢٠١٠م .

(٢) نسيان يستيقظ، صـ١٢ .

ولو طالعنا القصيدة بدءًا من عنوانها لوجدنا أن التشكيل اللفظي للعنوان يحمل تقنية جمالية مكثفة ، تظهر هذه التقنية في جملة "موجز خيبة" وكأنها تعكس بظلالها قصة موجزة لتصوير الخيبة والضعف؛ لتنقل للمتلقي جانبًا من جوانب الاعتراف بالعجز في إيقاع مؤلم، تتكامل جوانبه بعد الاستطراد في قراءة هذا الموجز .

فالشاعر في القصيدة يبرز جانبًا – فيما يرى – من جوانب القصور في حياته الشعرية، فنصف شعره جمل معترضة ، يمكن الاستغناء عنها ، وهو اعتراف يبدأ به قصيدته، وقد جعل نفسه بين قوسين في جملة أشعاره؛ والقوسان هنا دلالة الاحتواء والحبس، وهو لون من العجز عن البوح بمكنون النفس أكده بقوله : قلمي يلبس وجهين، وفمي صامت، وذلك تصوير لحالة التردد المصحوب بالمنع، تؤكده صورة أخرى لونية "خافتًا يبقى غنائي" ويدعمه تعبير عن التقيد وعدم الحرية في البوح بمكنون النفس الشعرية " أجلت أشواقي" .

ثم يختتم الشاعر القصيدة بإبراز نقيصة أخرى لشعره الذي يمثل ذاته ، فشعره محشو بكل شيء إلا هو، أي أنه لا يصور ذاته : وهو اعتراف بالنقص والعجز، بل هو وصف لا يحب أي شاعر أن يتصف به؛ فالشعر هو ترجمان لحياة الشاعر وذاته ، وإذا كان الشعر خاليًا من ذلك فما قيمته؟ ورغم هذا الاعتراف إلا أننا نلمح ومضة أدبية تشير إلى المعاناة الذاتية التي صورها الشاعر هنا، وهي التقيد وعدم الحرية وكأن الأشعار أصبحت كلمات جوفاء لا تمثل أصحابها ولا تستطيع أن تبوح بما يشعرون به.

والرومانسيون يوظفون الذات وما يلتحم بها من انفعالات؛ لاكتشاف الذات الإنسانية أولاً، ثم لاكتشاف العالم من بعد[١].

والرشيد هنا وظف ذاته ليعبر عن الذات الإنسانية الجمعية ، وكأن هذا الإحساس الذي رافقه أصبح إحساسا عاما أصاب جيلا كاملا من الشعراء ؛ حينما وجدوا أنفسهم يغردون خارج السرب ، وأن أشعارهم أصبحت لا مكان لها في عالم الكلمات، كأنها جمل معترضة في زمن أصبحت الكلمة الأدبية هي آخر ما يلتفت إليه.

ومن نماذج إبرازه لنقائص النفس البشرية ما يتضح في شعره من التعبير عن الحيرة والضياع، وذلك يتجلى في قصيدته "لست أنا"[٢] التي يقول فيها:

ألهث في ذاكرة عقيمة

أبحث عن

أحرف القديمة

عن صوتي الذي نسيته على

مرافئ المدن

فأقلعت به السفن

---

(١) ينظر: عبد الله الرشيد حياته وشعره ؛ مانع بن خلف بن جلاب الشمري ، طبعة دار أمجد للنشر والتوزيع– الأردن – ٢٠١٧م ، صـ٤٥، ٤٦ .

(٢) خاتمة البروق، صـ٩٨، ٩٩.

أجـــــــوس في ذاكرتـــــــي

أبحـــــــــث عـــــــــني

عـــــن تفاصـــــيل دمـــــي

حـــين مضـــى يـــركض في أوردتـــي

بنشـــــــوة المـــــــوج.....

وطـــــــيش العاصـــــــفة

أبحـــــــــث عـــــــــن

بـــراءة الطفـــل... ونبـــل العاطفـــة

ولـــــــــــــــــم أزل

رغـــم تمطّـــي الأمـــس وامتـــداده

أركـــــض في ذاكرتـــــي العتيقـــــة

فدلالة الأرق تتجلى في أول كلمة: "ألهث" تلك الكلمة التي تشير إلى سرعة النفس من أثر حركة سريعة أو عطش شديد ، وهذا الأرق لم يفض بشيء؛ لأنه في ذاكرة عقيمة لم تسعفه في إيجاد أحرفه، ثم يعود لرحلة البحث عن الذات: براءة الطفولة، نبل العاطفة[١]. ولك أن تطالع استخدامه للفعل المضارع هنا : ألهث ، أبحث ، أركض، أجوس ؛ وما

(١) ينظر: عبد الله سليم الرشيد حياته وشعره ؛ مانع الشمري ، صـــ٤٧ .

يفيده هذا الزمن من التجدد، والاستمرار، واستحضار الصورة كأنها حية مشاهدة .

وثمة تناص مع القرآن الكريم استخدمه شاعرنا في قوله : أجوس في ذاكرتي، وما تشير إليه هذه العبارة من الضياع والحيرة ، وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم في قول الله – تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾[1]، ودلالة " جاسوا هنا : الإذلال والقهر، والتردد والطواف[2].

فاستخدم شاعرنا " أجوس " بمعنى أطوف في ذاكرتي ، وهو طواف فيه قلق وحيرة ؛ دلت عليه كلمة " أجوس " بمعناها ومبناها .

فنقائص النفس تتجلى في الحيرة والإحساس بالضياع والبحث عن الذات، والصوت الهارب الذي أقلعت به السفن حينما نسيه الشاعر، والدم الهارب في الأوردة ؛ كل هذه الصور تعبر عن حالة من حالات الألم النفسي والقصور الذاتي في التعايش مع الواقع.

إن أهم ما يميز شاعر العصر الحديث، إحساسه بوجوده ومحاولته فهمه، والشاعر –بصفة عامة– يتعامل مع هذا الوجود بصورة يسعى من خلالها إلى تجسيد المعاناة التي يقابلها إنسان هذا العصر[3].

---

(1) سورة الإسراء ، (آية ٥) .

(٢)ينظر :جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، تحقيق / أحمد محمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م، ج١٧/٣٦٥.

(٣) شعر فاروق شوشة بين الرؤيا والإبداع د/ محمد السيد سلامة، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م، صـ١٣٩ .

وبما أن الزمان قد يكون وعاءً يحدث فيه اغتيال حلم الإنسان، ويشكل الإحساس بأهمية قضية من القضايا الإنسانية التي تضفي على وجوده حيوية ، وتسمه بسمة من أعز ما يملك وهي الإنسانية؛ فقد تأتي إدانة الشاعر للزمن من كونه إطارًا تغتال فيه الأحلام وتغيير القيم وتبديل العادات وتتسرب فيه رائحة العدم في أحايين كثيرة(١).

إن الزمن عند عبد الله الرشيد يحمل كل الدلالات السابقة فتصور الزمن في بعض قصائده يعكس حالة من حالات الملل مما يحدث حوله، وهذا الملل هو لون من ألوان النقائص في النفس البشرية التي لم تستطع التعامل والتعايش مع الواقع؛ فشعرت بالغربة الروحية، وزهدت في التعايش مع الحياة، والشاعر هنا لا يصور ذاته –فحسب– كما أشرنا وإنما يجسد المعاناة التي يعانيها إنسان العصر الحديث، وطالع قصيدته "الوقت والجدار"(٢)؛ لتقف معي على هذا المعنى؛ يقول الشاعر :

تمـــــــدّد الوقـــــــت علـــــــى جـــــــداري

تمـــــــدد الوقـــــــت ودلّـــــــى رأســـــــه

يســـــــخر مـــــــن ليلـــــــي ومـــــــن نهـــــــاري

رجـــــــلاه للأعلـــــــى وعينـــــــاه...

تبـــــــدت قـــــــدحتي شـــــــرار

وانطلقـــــــت شـــــــفاهي الرعنـــــــاء...

(١) شعر فاروق شوشة بين الرؤيا والإبداع ، صـ ١٤١ بتصرف .

(٢) حروف من لغة الشمس، صـ٧٣ .

للبـــــــاب انطـــــــلاق صـــــــبية صـــــــغار

وحلقـــــــت عينـــــــاي نحـــــــو كـــــــوّة

تأنفـــــها حنـــــــجرة الغـــــــــبار.....

وحـــــــدتي الرعنـــــــاء تـــــــدعوني إلى

زعزعـــــــــــــة الحصـــــــــــار

أن أطعـــــن الممـــــدّد المعتـــــوه في ناصـــــية الجـــــدار

أن أكســـــــــــــر انكســـــــــــاري

أن أســـــــــتغل عصـــــــــفة الســـــــــكون أو

إغفـــــــــــــاءة الصـــــــــــمت

فيعيـــــــــا دونهـــــــــا اصـــــــــطباري

فالشاعر يبدأ قصيدته بلفظة "التمدّد" وهي لفظة تعكس حالة الملل الطويل، لكننا نلمح هنا انعكاس الدور حينما جعل الشاعر الوقت يراقبه ويتمدد برأسه؛ فالوقت يراقَب ولا يراقب، لكن الجمود الذي غلّف حياته نبّه الوقت فبات يراقبه ساخرًا منه، غاضبًا من حياته(١).

لكن الشاعر حاول الخروج من هذا التيه حينما أشار إلى هذه الكوة في الجدار وهي اللفظة التي تشير إلى بارقة الأمل المنتظرة:

وحلقـــــت عينـــــاي نحـــــو كـــــوة

(١) عبد الله سليم الرشيد حياته وشعره، صـــ٤٨ .

تأنفهـــــا حنجـــــرة الغبـــــار

أرى طيوفًـــــا حلـــــوة تبـــــثني

ذكـــرى هـــوى في خـــاطري مـــوّار

تمـــــر فـــــوق جـــــبهتي حانيـــــة

مـــرّ الشـــذا بالروضـــة المعطـــار[١]

لكن الشاعر يعود – في القصيدة نفسها – إلى تصوير المعاناة المتجسدة في الشعور بالوحدة ويحاول أن يطعن الزمن الممدود على ناصية جداره ويكسر انكساره ولكنه – ومن أسف – يقف عاجزًا أمام سطوة الزمن " فيعيا دونها اصطباري" .

فالزمن هنا يرافقه انعدام الجدوى وفقدان الفاعلية ؛ حتى تسللت إلى نفس الشاعر أحاسيس العجز والحزن والمرارة، والصورة هنا تصور مضموناً يشي بالحسرة التي يشعر بها الشاعر حين يتأمل واقعه وذاته حتى تشابهت في نظرته الأشياء كلها : الوجوه، ولافتات الطريق، والماضي والحاضر، كل الأشياء عنده متشابهة، وتشابهها يصور حالة القلق والحيرة والملل، يقول الشاعر في قصيدة "خاتمة لا تجيء"[٢].

كلـــــــــها متشـــــــــابهة

الوجـوه الـتي في الحوانيـت قابعـة

---

(١) حروف من لغة الشمس، صـــ٧٣ .

(٢) نسيان يستيقظ ، صـــ٥٥ .

لافتـــات الطريـــق... المســـــــــــــاءات... مثخنـــــة بترهّلهـــا

وابتـــداءات شـــعري... ويـــــــــومي وأمســـــــــي... ومـــــا في غـــــدي

لا جديـــــد ولا مـــــن يـــــدٍ

تـــــوقظ الليلـــــة الغافيـــــة

كلـــــــــــها متشـــــــــــابهةٌ

هـــــذه .. تلـــــك.. ذاك .. وذي

أين لي أن أفرّ من الأوجه الكابية؟

كلـــــها متشـــــابهة.....

لم أجـد مـن ختـام يليـق بـي فمـن يـوقظ القافيـة؟

فالزمن هنا ما يزال هو الأيقونة التي يعبر الشاعر عن وقعها، الزمن يكاد يكون هو الخصم اللدود مع الشاعر؛ هو الذي يوقظ أحاسيس الألم عنده، فاليوم والأمس والغد كلها متشابهة. ولذا نراه يبحث عن يد توقظ الليلة الغافية فلا يجد .

ورحلة الشاعر هنا في البحث عن ذاته، وفي البحث عن ختام يليق به؛ في فراره من كل الوجوه الكابية تشير إلى معاناته وشعوره

الأسيان بالحيرة والألم والتردد والضياع، وكلها نقائص حاول إبرازها في صورة من التصريح لا التلميح، وفي إقرار بحقيقة واقعية وهي المعاناة والاغتراب الروحي؛ الذي يعني تعذر التأقلم مع الواقع.

لكن ثمة شيء يلفت النظر في قصائد شاعرنا في هذا الاتجاه وهو أن ظاهرة "الغموض" هي المحرك الرئيس لجماليات الخطاب الشعري عنده، والغموض هنا ليس مقصودا به الإبهام، وإنما المقصود : الغموض الموحي الشفاف الذي يدفع بالقارئ لكشف ما وراء النص من دلالات إنسانية وجمالية، وحينما يصل إليها يشعر بلذة الكشف ومتعة الوصول .

ولا أكون مجانبًا الصواب إذا قلت: إن المباشرة والسطحية والوضوح تقتل روح الإبداع الأدبي، وكذلك أيضًا الإبهام الذي يجعل القارئ يقف عاجزًا أمام فهم النص وفك مغاليقه.

فالإبداع الحقيقي هو ما يكون في رحاب التعبير الذي يجعل القارئ يعمل ذهنه في مقصد الشاعر، وفي الوصول إلى مراده حتى يستمتع – كما أشرت – بلذة الكشف ومتعة الوصول .

وهذا ما نجده في أشعار " عبد الله الرشيد"؛ لا سيما في شعره الذاتي الذي يعبر فيه عن النزوع الإنساني . ففي النص السابق اعتمد الشاعر على تصوير الأزمة النفسية التي ترتبط بإحساسه ومصارعته للزمن واستسلامه بعد الصراع لسطوته، مستخدمًا عدة ألفاظ تشي بالحيرة والألم والملل مثل: "تمدّد، يسخر، شرار ، وحدة رعناء، حصار، انكسار، اغفاءة الصمت...وغيرها . مع الاتكاء على التكثيف باستخدام علامة الحذف"..." في أكثر من موضع؛ لإسقاط تبعات هذه العلامة على المعاناة، وليترك للقارئ فراغات ومساحات يملؤها بإبداعه في قراءة النص، وهو لون من الاحتراف الشعري الحديث تمليه نظريتا : التلقي ، والتعبير.

المبحث الثاني : الجنوح إلى الكمال

البحث عن الامتياز والتميز في الطرح الإبداعي سمة من سمات الشاعر:

عبد الله الرشيد بل هو هاجس يعرفه كل من خالطه أو تابع نتاجه(١).

وإذا كان من معاني الإنسانية : العمل على خلق مجتمع إنساني أمثل يسوده العدل والرحمة والمحبة، وعلى تخفيف الشقاء الإنساني، وتصوير الحياة بصورة محببة إلى النفوس، أو هو المحبة الصحيحة لكل ما في الوجود بغير تفضيل أو تفريق(٢).

أقول إذا كانت هذه هي المعاني التي يبحث عنها مفهوم الإنسانية؛ فإن ذلك يعني خلق مجتمع مثالي يسوده التراحم والوفاء والمحبة، وكان هذا هو هاجس الشعراء الذين ظهرت في أشعارهم تجليات النزعة الإنسانية.

وفي شعر شاعرنا :عبد الله الرشيد هذا البحث الدائم عن المثالية في العلاقات الإنسانية وهو بحث عن الكمال الإنساني ، يتمثل في قوله:

ليتني كنت كالغمامة للأرض (م) ليخضر من نداي الجديب

---

(١) عبد الله الرشيد صائد الفرائد– د/ سالم السميري ، مقال بصحيفة الجزيرة الإلكترونية – تصدر عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر بالرياض، منشور بتاريخ ٢٠١٨/٢/١٠م .

(٢) ينظر : أدب المهجر ؛ عيسى الناعوري ، طبعة وزارة الثقافة ، عمان ٢٠١١م ، صـ٨٨، ٨٩ .

ليـــت أنـــي الربيـــع يـــنفخ في الأرواح مـــا اجتثـــه الخريـــف الرهيـــب[١]

وتأمل دلالة الصورة في قوله: ينفخ في الأرواح " وهي استعارة مكنية تعكس حالة التوق الشديد إلى أن يكون له دور في محيطه الاجتماعي ، وتعكس من ناحية أخرى إيمانه بدور الربيع – بوصفه معادلا موضوعيا للشاعر – في حياة مجتمعه، ولكن تلك الأمنية لم تكتمل بفعل الخريف الذي يجتث الآمال ، ولعل الخريف معادل موضوعي للشر والفتن والنفاق.

وهذا البحث عن الكمال الإنساني هو ما جعله يترفع عن الوقوع في شرك النفاق أو التدليس في المدح؛ وذلك يتجلى في قوله:

ولا تظـــنّن أفعـــالى وعـــاطفتى ۞ كفعـل شمطـاء تـستجدي المسـاحيقا
يا سـيدي هـاك عـيني اللـتين ذوى ۞ بهاهمـــا فأنـــل ســـهدًا وترنيقـــا
لا تطمعـــن أن ترانـــي ذيـــل قافلـــة ۞ أو أن أكـــون لكـــم في المنتـــدى بوقًـــا
فلـيس مـن يجتلـي دربًـا بـه وعـرٌ ۞ كمـن يهـرول فـوق الـدرب مطروقًـا
إنـــي وإن نـــالني مـــن كيـــدهم وضـــرٌ ۞ وســـددوا نحـــو آمـــالي المجانيقـــا
كالصـــقر حتـــى إذ أدميـــت مخلبـــه ۞ فلـيس يعـدم في الآفـاق تحليقـا[٢]

هذا الموقف الإنساني الذي يترفع فيه الشاعر عن الدنايا يصور نزعته في الجنوح إلى الكمال الإنساني، الذي ينأى به عن مواطن النقص التي يقع فيها كثير من الناس، ويصبحون مثالاً للانحدار الأخلاقي؛ حينما يتحولون إلى أبواق للظلم والظالمين.

---

(١) خاتمة البروق ، صـــ٧٩ .

(٢) خاتمة البروق ، صـــ٩٢ .

وإذا كان الأدب هو ذلك الإنتاج اللغوي الذي يعبر عن الإنسان من حيث كونه إنساناً بوصفه مخلوقا بشريا يضطرب على ظهر هذه الأرض، يبلو تجارب الحياة الإنسانية؛ فتؤثر فيه تأثيرات شتى من كونه بشرًا، لا من حيث كونه متخصصًا في ناحية معينة من نواحي النشاط الإنساني؛ فقد تشبع بالإنسانية من ناحيتين : الأولى في مجاله وموضوعه (الإنسان) ، والثانية: في طريقة تشكيله ووظيفته(١).

وهذا التشبع عند شاعرنا الذي واتاه من علاقاته الإنسانية المتنوعة هو ما جعله يعبر عن ثنائيات إنسانية مختلفة في أكثر من موضع من أشعاره، مثل: ثنائيات الغدر والوفاء، والصمود والاستسلام ، وغير ذلك. وهو في هذه الثنائيات يرسم صورة للإنسان المثالي الذي يطمح أن يراه في مجتمعه الإنساني الذي يعج بالتناقضات والازدواجيات في التعامل، وهذا البحث الدائم عن الكمال الإنساني في الشعر هو بحث قديم منذ خلق الله الخليقة، وهو ما جعل أبا فراس الحمداني يقول:

أبغـي الوفـاء بـدهر لا وفـاء لـه ۞ كـــأنني جاهـــل بالـــدهر والنـــاس(٢)

---

(١) ينظر: تجليات النزعة الإنسانية في شعر عيسى الناعوري، د/ محمد علي الذيابات – كلية الآداب بجامعة الحسين بن طلال – المملكة الأردنية الهاشـمية – دون ط ، ت ، صـ٤، ٥ .

(٢)التذكرة الحمدونية، للحموي،ط دار صادر، بيروت ، الأولى، ١٤١٧ هـ، جـ٣/٢٢.

ورؤية الحمداني هنا تقترب من دعوة المفكر الأسباني "أورتيغا إي غاست" ت١٩٥٥م؛ الذي يرى أن الفن ينبغي أن يبحث عن عوالم شعورية مجهولة فهو دائمًا يحتوي على شيء من اللاواقع(١).

وهذا البحث عن اللا واقع أي عن الصورة المثالية للإنسان كان من المعاني التي طرقها شاعرنا الرشيد، ففي قصيدة "وجهان في القضية"(٢) يصور هذه الثنائية للوفاء والغدر، والعزة والدونية.

فالوجه الأول لإنسان ترفّع عن الدونية والسير في ركاب اللاهثين وراء المجد والشهرة والضاربين صفحا عن القيم الإنسانية ، والوجه الآخر لمن باع وغدر ونافق وداهن حتى يصل إلى مراده ، وليته وصل، وإنما باع نفسه وخسر كل شيء .

يقول الشاعر :

الوجه الأول :

أغـــروه باليســـرى فمـــا اقتربـــا ۞ ورمـــوه بالعُســـرى فمـــا اضـــطربا
مـــاج الســـنا بـــرؤاه فاحتـــدمت ۞ أشـــواقه فتجـــاوز الحقبـــا
....
مســـتوقد نـــار العـــلا وإذا ۞ ســـيم المهانـــة أصـــبح اللـــهبا
مـــروا علـــى أشـــلائه ، ضـــحكوا ۞ فـــإذا هـــو الإعصـــار قـــد وثبـــا

(١) ينظر : تجريد الفن من النزعة الإنسانية ، تأليف : حوسيه أورتيغـا أي غاسـت، ترجمة : جعفر محمد العلوي، منشورات الهيئة العامة السـورية للكتـاب، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠١٣م صـ٧ .

(٢) ديوان نسيان يستيقظ صـ٣٨ وما يليها .

الوجه الآخر:

متمـــــرغ، عينـــــاه شاخصـــــةٌ ۞ للغاصـــــبيه الأرض والنشـــــبا
أكـــــوابهم بمعينـــــه امـــــتلأت ۞ ومنـــــاه أن يتجـــــرّع الحببـــــا
أعطـــاهمُ فـــوق الـــذي طلبـــوا ۞ ورمـــوا لـــه دون الـــذي طلبـــا
وأبـــــاحهم بســـــتانه فعلـــــوا ۞ نخلاتـــــه واســـــتمرؤوا الرطبـــــا
فجثـــا وأهـــرق قطـــرة هربـــت ۞ مـــن وجهـــه فرمـــوا لـــه الكربـــا
فاهتـــــاج مبتهجًـــــا بمنّـــــتهم ۞ وهفـــــا لهـــــم متنزيـــــا طربـــــا
منعـــوه مـــن تقبيـــل أعيـــنهم ۞ فاحتـــال حتـــى قبّـــل الـــذنبا

إن الشاعر هنا تتراءى في نفسه أحداث عالمه المحيط به، وتنعكس على تعبيراته؛ مشكّلة في نفسه دراما الإنسان المعاصر، فهو قد أشار إلى صنفين من البشر في صورة موازنة بين المروءة والخسة ، راسمًا صورة مثالية متكاملة للإنسان الحرّ الأبيّ، وصورة أخرى واقعية لإنسان رضي لنفسه المهانة والهون، موظفا طاقته الإبداعية في عرض هذه الموازنة، ملونا المشهد الأدبي بالصورة الأدبية ، حتى أصبح كالمشهد الحي للذي أشعل نار العلا وإذا سيم المهانة أصبح لهبًا، وللآخر الذي جثا وأهرق قطرات الحياء من وجهه، وهما – أيضا – وجهان للفلسطينيين: وجه من باع القضية ، ووجه من قاوم الغاصب وتمسك بحقوقه.

وتأمل هذه الصور من الاستباحة التي صارت لبستانه، فصعدوا على نخلاته واستحلوا الرطبا، وكلها كنايات معبرة ، تعكس الصورة الأسيانة من الخنوع والوهن والنفاق والمداراة .

والشاعر هنا لا يعيش قضية خاصة ويعكس صورتها في شعره وإنما يعيش قضايا واقعه، ومن منا لم ير هذه النماذج البشرية في حياته؟! ومن منا بعيد عما يحدث في الساحة الفلسطينية، التي كانت هي القادح لهذه التجربة .

ولذا ستكون نظرتنا ضيقة إن قلنا : إن الشاعر يعبر عن تجربة شعورية خاصة تقف عند حدود ذاته؛ بل هي تجربة شعورية خاصة تحولت بفعل الواقع الإنساني إلى تجربة عامة، نرى جميعًا الحياة من خلالها.

ولعل الشاعر في القصيدة بدأ بالوجه الأول وهو يجنح إلى الكمال البشري؛ لأنه يرى أن هذا ما ينبغي أن يكون؛ ولذا كانت له الصدارة في القصيدة، واختتم بالوجه الآخر؛ ذلكم الوجه القبيح المذموم للفعل البشري لأنه – ومن أسف – هو صورة بشرية واقعية نراها في حياتنا، ولكنها تأتي في القصيدة متأخرة وكأن الشاعر يقول : إنها ينبغي ألا تكون .

وهنا نرى أن الأدب: اتجه إلى الإنسان يتأمل جوانبه المختلفة، ويتعمق في فهم نفسيته وعلاقته بالمجتمع، وعلاقته بالكون أجمع(١).

وفي الدائرة نفسها يدور عبد الله الرشيد مصورًا نموذجًا من نماذج الكمال البشري في صورة الصديق المخلص الذي عبر عنه "بالزائر الاستثنائي" .

(١) ينظر : تجليات النزعة الإنسانية في شعر عيسى الناعوري صـــ٧ .

ففي قصيدة له جعل عنوانها: "إفضاء مرتبك إلى زائر استثنائي[1]؛ يضعنا الرشيد أمام صورة من صور الكمال الإنساني لصديق وفي – وهو الناقد " سامي العجلان" الذي وصفه الشاعر تحت عنوان القصيدة بقوله: الناقد المتواري في زمن نقاد الصدفة.

يضعنا الرشيد أمام هذه الصورة التي رسمها بريشته الأدبية، ونسجها بخياله لهذا الزائر الاستثنائي، الذي زاره في وقت تخلّف فيه من كان يرجو ودهم، ويأمل وصالهم ؛ ليصبح هذا الزائر أيقونة تمثل الوفاء في زمن الغدر والأصالة في زمن التردي ، يقول الرشيد :

أنّـــى وصـــلتَ وأبـــوابى مغلّقـــة ۞ وموقـــدي غافـــل والـــريح خرســـاء
وكيـــف جئـــت؟ وآثـــار الـــذين أتـــوا ۞ تناهبتهـــا أعاصـــير وأنـــواء
ولـــيس في الـــدرب غـــير الـــدرب مكـــتهلاً ۞ تعـــروه مـــن ذكريـــات الخطـــو أصـــداءُ
وكيـــف جئـــت؟ ومـــن أفرشـــتهم حـــدقي ۞ تفيـــؤوا ظـــل أهـــدابي ومـــا جـــاؤوا

إن الصدق الإنساني عند كثير من الناس ومضات واشراقات ما تلبث أن تختفي، لكنه كان في هذا الصديق ديمومة مستمرة ، ظهر أثرها في وفائه لصديقه والتواصل معه.

ولعلنا نلمح دلالة التقابل بين الصورتين :" الريح الخرساء ، وتنتابها أعاصير وأنواء" ؛ فالريح خرساء صورة استعارية تبرز حالة السكون والوحدة والثبات ، وتعذر تفاعل الزائرين معه ، وفي البيت الثاني يمثل مجيء صاحبه حالة من الحراك والتفاعل من الريح التي محت آثار من جاؤوا قبله فلم يكن لهم حضور فاعل لا في المكان ولا الزمان ، ولذا فلا

(١) ينظر: جريدة الجزيـــرة الثقافيـــة العـــدد ٣١٠ ، الخمـــيس ٢٩جمـــادى الأولـــى ١٤٣١هـــ،والقصيدة في ديوان قنديل حذام ، ص١٠٠

عجب أن يرى فيه الاخضرار في أرض مجدبة، وأن يصبح هذا الصديق هو المعادل الموضوعي عنده للوفاء المفقود في عالمه ، يقول الرشيد :

يـــا لاخضـــرارك في أرضٍ مـــرزّأة ۞ بالمجـــدبين وكـــم شـــيئوا ومـــا شـــاؤوا!
الغـــالبين ذبـــاب الصـــيف أســـبقهم ۞ عنـــد اشـــتيار رحيـــق المجـــد مشّـــاءُ
أضـــداد روحـــك زادوا البـــوح جلجلـــة ۞ مـــا النـــور لـــو لم تكـــن في الجـــو ظلمـــاءُ؟
يـــا مـــاء مـــا كنـــت ترضـــى ميتـــة ظمـــأً ۞ لـــو ذقـــت طعـــم الظمـــا يـــا أيهـــا المـــاءُ[(١)]

إن فحص النص الشعري هنا يضع أيدينا على مظهر من مظاهر النزوع الإنساني عند الشاعر، تمثل في البحث من الكمال في علاقاته الإنسانية، فالوفاء في زمن الغدر هو الكمال الإنساني كما صوره الشاعر؛ فكمال الإنسان بكمال إنسانيته ، وتظهر في هذه القصيدة – وغيرها – براعة الشاعر في التصوير واقتناص المشاهد الحية ليُنطق الصورة من خلالها؛ ويتضح ذلك في تصويره لهذا الصديق الوفي بالصورة اللونية المعبرة "اللون الأخضر في الأرض المجدبة"، ثم تصويره لهؤلاء الغادرين المجدبين بذباب الصيف الذي يتصارع على الرحيق؛ كناية عن الجشع، وطالع قوله : "أضداد روحك"؛ لتجد أسلوبا كنائيا لطيفا؛ حيث صور صديقه في القصيدة من أولها رمزًا للوفاء والاخلاص، ثم يأتي بهذه الكناية ليقف بك على مشهد معاكس لذباب الصيف القميء ، ولم يكتف بهذه الكناية تعبيرا عن حالهم ، بل جعلهم يملؤون الحياة ضجيجًا وصخبًا، ويكون صديقه وسط هذه الجلبة وهذه الظلماء هو الراحة والنقاء ، ثم يختتم قصيده ببيت شعري أراه أجمل بيت

(١) قنديل حذام ، ص١٠١. .

في القصيدة ، وهو ختام ينم عن شاعرية حقة، فإذا كان الألم جهوري الصوت ؛ فإن هذا البيت ينم عن ألم حقيقي يقول الشاعر :

يـا مـاء مـا كنـت ترضـى ميتـة ظمـأ ۞ لـو ذقـت طعـم الظمـا يـا أيهـا المـاء

فالماء هنا الرمز الحقيقي للحياة – الحياة التي يجدها الإنسان في إخلاص من حوله، الحياة التي يشعر بها الإنسان حينما يجد الوفاء في وقت الضيق والألم؛ هذا الماء "هذه الحياة" هل كانت ترضى بالموت ظمأ لو ذاقت طعم الظمأ ؟

هذا الاستفهام يضعه الشاعر أمام من تنكبوا طريق الإخلاص والوفاء، وكأنه يردد: لو جربتم معنى الحرمان في وقت تنتظرون فيه العطاء هل تقبلون به؟

لعلني اختصرت إحساس الشاعر الحقيقي في كلمات جوفاء مجدبة، لكنني أوقن أن معايشته للموقف حقيقية– فقد حُكي لي أنه عاش الموقف معايشة حقيقية – هذه المعايشة هي ما جعلت القصيدة تتكلم، ويصبح أي كلام بعدها كالحرث في أرض محروثة.

ولعل ما يدعم كلامي من أن من عاش وتعايش ووصف يختلف عمن قرأ من بعيد ؛ موقف لابن الرومي؛ حينما لام عليه أحد الرجال فقال له: لم لا تشبه كتشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه؟ فأجابه ابن الرومي إجابة تفيد أن الرؤية هي الأساس قائلاً : ذلك إنما يصف ماعون بيته؛ لأنه ابن خليفة، وأنا أي شيء أصف؟(١).

(١) ينظر: الكتابة بين الموضوع والفن، د/ عبد الرزاق حسين، طبعة مكتبة المتنبي – الأولى ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م صـ١٢٧ .

ومما يؤكد ذلك قول الصفدي "المشاهدة تعين على التشبيه"(١) فالمعايشة تعين على الصدق، ومهما حاول البعيد عن التجربة وصفها، فلن يصل وصفه والصدق فيه لمن عاش الموقف وانصهر في بوتقته.

(١) السابق والصفحة .

المبحث الثالث: الذات والزمن

تتجلى الذات واكتمال الخصائص الإنسانية العامة الفردية في الفنان أو الأديب، وبروزها بوضوح متميز من خلال الآثار التي يبدعها. والذاتية ملمح يبرز عند الرومانسيين في الشكوى والألم واليأس.

وقد يشعر الشاعر بذاتيته حتى يكاد ينفصل عن الآخر، ولا يعني هذا التنكر للبشرية والميل إلى التوحش ، وإنما هو تغلغل في أعماق الذات، والذات هي الأعماق التي تدور فيها الصراعات(١).

وأما الزمن فهو الحاضر دومًا مع الشعراء، وكيف لا؟ وهو الشاهد على أوقات ضعفهم وقوتهم على المستوى الذاتي، وضعف وقوة بلادهم وأمتهم على المستوى العام.

والزمن يحضر بكثافة في شعر "عبد الله الرشيد" ؛فهو الباحث دومًا في التاريخ عن النماذج التي تحيي الهمم، وتذكر بالأمجاد، وتستدعي مواقف الضعف والقوة التي أصابت الأمة العربية(٢).

وأيقونة "الزمن" في شعر الرشيد كانت من أيقونات الألم الذي رافق ذاته الشعرية؛ فهو دائم النظر إلى أحوال أمته وما يعتورها من تردٍ وضعف، وليس الرشيد وحده هو من عبر عن الزمن وارتباطه بذاته ، فلا

---

(١) ينظر عبد الله سليم الرشيد حياته وشعره ، مانع الشمري صـ٤٥، ٤٦ .

(٢) ينظر قصائد : للشعر وجه آخر، إلى أبطال الحجارة، سلي هجعة الصحراء ،مقاطع من الجرح الأزلي ،على مشارف الجراح، على حائط المبكى؛ في ديوانه : خاتمة البروق صفحات : ٢٢، ٣٢، ٣٣، ٣٦ ، ١٢٨، ١٤٣، ١٥٠، ١٥١ .
وقصيدته : أوان الشد في ديوانه : حروف من لغة الشمس، صـ١٨ .
وقصيدة : التماس إلى ابن ماء السماء، في ديوانه نسيان يستيقظ ،صـ١٣ .

يكاد يخلو ديوان شاعر من الحديث عن الزمن، حتى إن هذا الحديث يتحول مع تكراره إلى نوع من الغربة النفسية... وهي تتداخل مع الشكوى الناجمة عن القلق والشعور بالحيف، وتتابع فواجع الدهر .

ويمكن أن يصبح الحنين إلى الزمن الماضي موقفًا رافضًا لعين الحاضر، وما يتبع ذلك من اضطراب ثقة الشاعر بمن حوله؛ نتيجة عدم قدرته على التكيف مع البنية المجتمعة المحيطة به ،حتى إن قصيدة الحنين إلى الزمن قد تتحول إلى حنق على الدهر، وعلى المجتمع والحياة بأسرها؛ وذلك يجعلها لونًا من ألوان الغربة الفكرية(١).

وتعزّز ثقافة الشاعر هذا الإحساس حيث تقوده تطلعاته – بصورة عامة – إلى الأمام وإلى البعيد، ولكن واقع مجتمعه ما زال يشدّه إلى الخلف وإلى البعيد أيضًا، أليس في هذا مزيد من الإحساس بالتمزق؟!(٢).

فلا شك في أن الحزن والسأم هما المظهر الخارجي للغربة الفكرية، وهي نتيجة طبيعته لعدم تكيف المثقف المعاصر(٣).

والزمن يعد في شعر "الرشيد" موقعًا يقيم داخله وتتراءى له فيه معالم جديدة من التشكيل الشعري تتصل هذه المعالم بذاته، وتتحقق فيه بعض طموحاته التي قد لا يجدها في الواقع، وبذلك يصبح الزمن هو الملاذ

---

(١) ينظر مقالة : الشعراء والزمن والريف والمدينة ،أحمد التيهاني ، موقع الوطن أون لاين(https://www.alwatan.com.sa/article/9129) – الشبكة العنكبوتية، نشر بتاريخ ٢٠١٢/١/١٨م .

(٢) ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، د/ ماهر حسن فهمي ،طبعة معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م، ص١٣٣.

(٣) السابق والصفحة .

الآمن للهروب من الواقع أو نقد هذا الواقع.

وقد اتيح للفن أن يُنازل الواقع المحسوس، ويبرز صراع الإنسان مع الزمن، وأصبحت أحزان الشاعر وغربته مصدرها المعرفة(١).

وهذه الغربة هي التي عبر عنها الرشيد بقوله :

مـــن يفهمـــني في هـــذا العـــالم ؟ مـــن يســـتوعب أســـراري أكثـــر؟

الشـــــــــمس تثنـــــــــاكفني

والغـــيم يمـــرّ بـــوجهي لا مكترثـــا

والـــريح؟ لتـــاريخي معهـــا ديـــوان هجـــاء

ثم يختتم قصيدته بقوله:

مـــــــــــــن يفهمـــــــــــــني؟

هـــل يفهمـــني غـــيري وأنـــا لا أعـــرفني؟(٢)

لقد اختار الشاعر عنوان هذه القصيدة "لوجه لا أعرفه" ومن أيقونة العنوان يتبدى لنا إحساسه بالحيرة والقلق والاغتراب الفكري .

ثم يبدأ قصيدته بالاستفهام الذي يحمل دلالات الحيرة والقلق والبحث عن الذات : من يفهمني في هذا العالم؟

وقد استخدم تقنية "الصمت" مستخدمًا علامة الاستفهام بعد قوله والريح؟ لتاريخي معها ديوان هجاء.

---

(١) ينظر : الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، صـــ١٣١ .

(٢) نسيان يستيقظ، صـــ٥٦، ٥٧ .

فما دلالة هذه العلامة بعد كلمة الريح ؟ إلا أنها لون من الاكتفاء أو الصمت وهو ظاهرة أدبية لها دلالتها " فقد أصبح للصمت في القصيدة أثر مهم في نسيجها الشعري؛ فهو تغيير في استراتيجية الكتابة الإبداعية، في الانتقال النوعي من النص التام إلى النص الناقص، بل إنه يكاد يصبح لغة لا بد من إضافتها إلى النص(١).

وقد كان لهذه الظاهرة دلالة قوية أيضًا في ختام القصيدة حيث طرح الشاعر استفهاما، خرج من معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي وهو النفي ، وترك مساحات فارغة ، وختم بالسؤال أيضًا ؛ وكلها دلالات الحيرة والقلق والشعور الأسيان بالاغتراب عن عالمه وزمانه .

مـــــــــــــــن يفهمـــــــــــــــــني؟

هـــــل يفهمـــــني غـــــيري وأنـــــا لا أعـــــرفني؟

ليترك من خلال هذا التكثيف مساحة للقارئ ؛ ليتخير فيها الكلمات التي أراد الشاعر أن يقولها ولم يقلها.

ولعل مما يلفت الانتباه في النص هو تجاوز الحيرة من النطاق الذاتي الداخلي عند الشاعر إلى النطاق الغيري ؛ حيث وظف الشاعر مفردات الطبيعة " الشمس ، الغيم ، الريح " ليعكس حالة الحيرة على المستوى الخارجي أيضا ، فالحيرة هنا لم تكن داخلية –فحسب – بل أيضا خارج ذاته .

---

(١) وقوفًا بها، ثلاث ظواهر في الشعر العربي الحديث، عبد الله الرشيد ، طبعة الـــدار العربية للعلوم ناشرون ١٤٣٢هـــ - ٢٠١١م ، صـــ٥١ .

وترتبط ظاهرة الذات والزمن عند معظم الشعراء بمشكلة المصير والصراع مع الحياة وبعوامل وتجارب نفسية وشخصية عايشها الشاعر في مراحل عمره، ويظهر عند كثير منهم فكرة الحزن واليأس الذي تربّص بمصائرهم.

وها هو ذا شاعرنا يعبر عن وقع اللحظات في عمره ويختصر زمانه بقوله :

بـــدأت جنينًـــا في حيـــاتي قاصـــرًا ۞ وإنـــي غـــدًا تحـــت الـــتراب جـــنينُ
فمـــالي قطعـــت العـــيش ركضًـــا لغايـــةٍ ۞ بهـــا يســـتوي حـــاوي العُـــلاء ودونُ!
أهـــيم وأســـتدني غـــدي، ولربمـــا ۞ غفـــوتُ، وأحلامـــي لهـــنّ طـــنينُ
فيـــذهل نَـــدْماني ويبـــأس عـــاذلي ۞ ولـــي عـــنهم – لـــو يشـــعرون- شـــؤونُ[1]

إن الزمن هنا أخذ شكلاً دراميًا يشبه الرحلة التي لخصها الشاعر –بتكثيف– في قوله : بدأت جنينًا، وغدًا تحت التراب..." ثم تجد في الأبيات تصوير الألم الناتج عن عدم إشباع الرغبات، ثم عتاب الشاعر على نفسه عند إدراك كنه الحياة وحقيقتها: "بها يستوي حاوي العُلا ودون"، وهو تنفيس عن واقعه الذي يستوي فيه أصحاب الهمم وأرباب الخمول، ولذا فلا عجب أن يصوّر أحلامه بأن لها طنينا وهو صوت الذباب، فهي أحلام مزعجة على أية حال، فالتصوير هنا فعل وجداني لا ينفصل زمنه عن زمن الشاعر وقت التجربة.

وبما أن المقاربات الشعرية توحّد بين الذات والموضوع ؛ فإن الزمن عند الرشيد هو ذاته، أو إن شئت قل: بينهما ارتباط لا انفصام فيه؛

(١) حروف من لغة الشمس ، صـــ٤٧ .

ففي قصيدة جعل عنوانها : "الخروج إلى الداخل"[١] نراه يربط بين ذاته وأحداث الزمان المتمثلة في الصباح والمساء، اللذين يرمزان إلى: الأمل والألم، أو الديمومة والفناء،أوالسعادة والشقاء، وهي باختصار رحلة عمر لخصها الشاعر في القصيدة بدأها بالأمل :

كنت في غرفتي ألملم أحلا ۞ مي، وأهتزّ للصباح الجديد
وحفيف النسيم خلف جداري ۞ ثرثرات النساء ليلة عيد

ثم يتحدث عن الظلام، وهو رمز الألم والحرمان وزمنه الليل بوحشته وسكونه:

كان حولي في كل ركن على الأر ۞ ض، وفي السقف، كالنقاط السود
موغلاً في دمي يثبط آما ۞ لي، فيا بهجة المشارق عودي

وينتقل إلى مشهد مجيء النهار الذي ملأ نوره الآفاق، والأمل الذي أطل برأسه مع مشهد النهار :

وإذا بالنهار ملء فم الأفـ ۞ ق، ثريّ الرؤى، ففيم قعودي؟
وتهيأت والسعادة تمحو ۞ أثر الليل عن يديّ وجيدي

لكنه – ومن أسف – يفاجأ بالواقع المرير الذي اصطدم به، وهو ينتظر النهار بعد معاناة مع الليل :

وفتحت الباب العتيق فصكّت ۞ جبهتي قبضة الظلام القعيد
عجبًا ! أين ذلك الصبح ؟ هل غا ۞ لته غول تمشي بخطو وئيد؟
أبصرته عيناي، لم يك حلمًا ۞ لا ، ولا كان من خيال شرود

وتأمل معي كيف تمكن الشاعر من أن ينطق جميع النغمات

(١) السابق، صـ٥٢ .

المتناقضة المتضاربة، وينقل لنا صورة نفسه بين الأمل والألم، وحالة الانتظار والترقب لقدوم الصباح؛ زمن الحلم الجميل والأمل الحيوي، وهو رمز لحقبة زمنية من عمر الشاعر، كما أن المساء والظلام رمز لحقبة زمنية أخرى من حياته .

ورغم أن خاتمة هذه القصيدة الشعرية المصورة لزمن الشاعر – إن جاز لنا هذا الاستخدام – رغم أنها خاتمة تقليدية؛ نفاجأ بأن الشاعر لم يجد بعد أمله إلا الوهم، وتلك الفرحة التي ماتت قبل أن تولد، وذلك في قوله :

بـــل هـــو الـــوهم جنّحتـــه ظنـــون ۞ فمشـــى في الضـــمير دون قيـــود
فرحـــةٌ أومضـــت كشـــعلة كبريـــ ۞ ت، أتيحـــت لهـــا ســـوافي البيـــد
ظهـــرت قبـــل أن يحـــين التلاقـــي ۞ وتـــوارت في غـــور أفـــق بعيـــد
إن أقســـى الـــبلاء أن تســـنح الفـــر ۞ حـــة، في ســـاعة الحـــداد الشـــديد

فإننا نحترم اختيار الشاعر لطريقته في تحديد عالمه الإبداعي وتعامله مع الكلمات، وتناصه مع غيره من الأدباء في جانب من جوانب إبداعه، وكما قال "شيكلوفسكي" : الفنان ينمو في عالم مليء بكلمات الآخرين، فيبحث في حضنها عن طريقه(١).

ومما يرتبط بالزمن عند الشاعر عنصر التحفيز الذاتي، والرغبة في الانتقال من حال إلى حال، وعدم الخضوع لأحداث وسطوة الواقع الزماني أو المكاني، وهذا ما ظهر جليًا في بعض قصائده ؛ فالرجل لا يستسلم للواقع الزماني وأحداثه، بل يخرج بشعره من حالة الاستسلام إلى

(١) نقلاً عن: ديوان سلام على البرده للشاعر نايف الهـريس دراسـة موضـوعاتية تناصية د/عموري السعيد ط الغرير للطباعة والنشر – دبي صـ٧١ .

حالة يعلن فيها تفرده الذاتي على حدّ قوله:

أنـــا واحـــد مـــن أمـــة لكـــنني ۞ متوّحـــد بمواجـــدي وغنـــائي
أمشـــي وراء طبـــيعتي متألقـــا ۞ وتغـــامز الأعـــداء محـــض هبـــاء
ويلفـــني شـــبه الزوابـــع عنـــدما ۞ يعشـــو الجفـــاف بروضـــة غنـــاء
ويثيرنـــي ألم الســـكينة حينمـــا ۞ هتكـــت أنوثتهـــا يـــد الضوضـــاء
وأجـود بالـدمع الكثيـف ولـيس بـي ۞ وجـــعٌ ولكـــن داء خلّـــي دائـــي
أهـــدي الغصـــون بشاشـــتي حتـــى وإن ۞ خـــرّقن في صـــلف قشـــيب ردائـــي
وإذا الظـــلام دجـــا علـــي عذرتـــه ۞ حبَّـــا لـــذكرى الليلـــة القمـــراء[1]

ومما يرتبط بالزمن –أيضًا– في شعره "ترك الخضوع لسطوة الزمن" والتوافق بينه وبين وزمانه، ومن هذا التوافق حب المشيب على غير عادة الشعراء، فالشعراء قد عبروا عن خوفهم من المشيب، وقلقهم من المصير في هذه المرحلة العمرية .

ولهذه المرحلة آثار سلبية من الناحية الجسمية والنفسية وهي آثار حتمية؛ لأنها تمثل انتقالاً واضحًا في حياة الإنسان من مرحلة جميلة عاش فيها القوة والنشاط والحيوية والعطاء إلى مرحلة أخرى تكاد تكون مناقضة تمامًا؛ حيث يعاني فيها من الضعف والاضطراب والحاجة لغيره في شئون حياته[2].

وكما أشرت فقد عبر الشعراء كثيرًا عن قلقهم من هذه المرحلة

(١) قصيدة "وهج" ديوان حروف من لغة الشمس، صـــ٥٩، ٦٠ .

(٢) ينظر: الشباب والشيب في الشعر الأندلسي دراسة موضوعية نفسية ، رغدة علـــى الزبون – بحث منشور بمجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعيـــة – الأردن – العدد (١) لسنة ٢٠١٥م جـــ٢١٨/٤٢ .

العمرية وهي "المشيب"، على حد قول لسان الدين بن الخطيب :

العمـــر نـــومٌ والمنـــى أحـــلام ۞ مـــاذا عســـى أن يســـتمر مقـــامُ
وإذا تحققنـــا لشـــيء بـــدأةً ۞ فلـــه بمـــا تقضـــي العقـــول تمـــام
بعـــد الشـــبيبةُ كـــبرةٌ ووراءهـــا ۞ هـــرمٌ ومـــن بعـــد الحيـــاة حِمـــام[1]

بيد أن الرشيد لم يخضع – كما أشرت– لسطوة الزمن ، بل حدث بينه وبين إقبال الشيب عليه عملية توافق وقبول؛ فهو يهدي قصيدته "قطرات حروف"[2] إلى شعرات بيض قد انبلجن في رأسه، ثم يقول في قصيدته:

لم يـــرُعْني المشـــيب حـــين تبـــدّى ۞ فـــالمنى غضّـــة وعـــودي مُنـــدّى
لم يُـــرعْني فلـــم أقـــل قـــول ذي الاشـــ ۞ ـــفاق : ويلـــي إن الفنـــاء اســـتعدا
والثلاثـــون وهـــي تهْـــرق ســـجْلاً ۞ مـــن شـــبابي وتنـــثني فيـــه هـــدّا
لم تحـــرك إلا صـــبابة شـــوق ۞ لصـــبا، كـــان في الغضـــارة فـــردا
لم يـــرُعني المشـــيب إن بيـــاض الشـــ ۞ ـــيب نـــور إلى الفـــؤاد تهـــدّى
إن ســـحر الغـــروب يفضُـــل أحيـــا ۞ نًـــا ويلقـــي في الـــنفس طيبًـــا ونـــدّا

فالشاعر لم يخضع لعقدة الزمن النمطية التي تأتي بالمشيب فيبكي أمامه الشعراء، وكأن الزمن عنده كتلة واحدة لا فرق بين وقت وآخر، بل إنه يستمد من وقت المشيب ومؤشراته "الشعر الأبيض" ما يحرك به صبابة الشوق ويبعث في فؤاده النور البهي.

ويتخذ الشاعر من مشهد المشيب مجالاً ليعرض صورة مشابهة

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق د/ محمد مفتاح ، طبعة دار الثقافة – الدار البيضاء ١٩٨٩م جـ٢/٥٥٦ .

(٢) حروف من لغة الشمس، صـ٦١ .

لحالة هذا المشيب وهي صورة الغروب؛ حيث إن هذا المشهد بجلالة روعته محبب إلى نفسه كما هو محبب إلى نفس غيره فعلام البكاء على المشيب؟!

لكن الشاعر لم يستطع أن يتفلت من وقع المشيب– مهما أعلن عن تقبله له– فنجده في آخر القصيدة يعلن أنه لا يخشى المشيب لأفول عمره، وإنما لأنه مقبل على الآخرة ولا يدري هل هو إقبال بترحيب أم غيره، في وقت يأتي الناس فرادى للحساب ، ولذا فلا مناص من أن يلجأ إلى باب السماء ويرفع عقيرته بالدعاء علّه ينجو مما هو مقبل عليه، يقول الشاعر:

لم يـــرُعْني ســـوى وعـــاء خلـــيٍّ ۞ مـــن يواقيـــت كـــن للـــروح رفـــدا
يـــوم لا ينفـــع الثـــراء ولا يجـــ ۞ ـــدي جمـــال والخلـــق يـــأتون فـــردا
فاجتـــذبني يـــا رب مـــن قبضـــة الأر ۞ ض، وكـن لـي، وامـدد لـي النـور مـدا[(١)]

وهو بهذا لم يستطع أن يرسم لنفسه خطًا مستقيمًا منفصلاً عن غيره من الشعراء في إحساسهم تجاه المشيب فكلهم يخشونه؛ لأنه سيؤدي بهم إلى الموت، وهو أيضًا يخشاه؛ لأنه سيجعله يقف أمام ربه بعد موته ، وهذا التناص مع غيره من الشعراء جاء من عُصارة تجارب وقراءات واطلاع وتثاقف، فالشعراء جميعًا ينطلقون في تعبيرهم عن هذه القضية من إحساس إنساني ونفسي لا يختلف فيه إنسان عن آخر، حتى مع اختلاف الديانات والأجناس؛ فالمشيب عند الجميع هو البوابة الأولى والرئيسة للفناء وترك الحياة؛ ولذا فلا مناص من أن يقف شاعرنا معترفًا بسطوة الزمن وجبروته.

---

(١) السابق ، صـــ٦٢، ٦٣ .

والإنسان يطالع في مرآته حالة المشيب التي استشرت في ملامح وجهه وعلى أركان جسده ؛ ليدرك آنذاك أن ماله بداية لا بد أن تكون له نهاية، وأن الشباب والفتوة مرحلة حطت ركابها فجعلت صاحبها يقطع آماله بالدنيا ويقف باكيًا شبابه على حد قول الشاعر:

ولم أر كالـــدنيا خؤونـــا لصـــاحب ۞ ولا كمصـــابي بالشـــباب مصـــابا
فقـــدتُ الصـــبا فـــابيض مســـودّ لُمّـــتي ۞ كـــأن الصـــبا للشـــيب كـــان خضـــابا[1]

ويقول شاعرنا "عبد الله الرشيد" في قصيدة جعل عنوانها: " الفرار إلى موعد جنائزي"[2]:

بـــأي وجـــه ألاقـــي وجـــه مرآتـــي ۞ تيبســـت صـــبوتي واخضـــرّ إخبـــاتي
وبـــتُّ في وحشـــتي الصـــفراء منســـحقًا ۞ تجثـــو بقربـــي أشـــلاء الصـــبابات

وهو في هذه البكائية على شبابه المنصرم وعلى أفعال الزمان في هيئته يعبر عن حالة مؤلمة من الاستسلام أمام وقع الزمن، مستخدمًا الصورة اللونية "اخضرّ إخباتي، ووحشتي الصفراء" التي تصور الحاضر في صولته وتجعل الشاعر في مواجهة أليمة معه ، فتظهر بوادر الأحاسيس الكابية التي تغطي صورة المشهد الأسيان بظلال من الألم، لا سيما أن الزمن لا يشعر به ولا يأبه لندائه على حد قوله:

صـــوتي تشـــعّب والأصـــداء غافلـــةٌ ۞ والليـــل يمعـــن في تســـفيه آيـــاتي
هـــذي النهايـــات تعرونـــي شـــدائدها ۞ فهـــل أعـــود إلى حضـــن البـــدايات؟[3]

---

(١) ينظر: الشباب والشيب في الشعر الأندلسي، صـــ٢١٨ .
(٢) نسيان يستيقظ، صـــ٩٥ .
(٣) السابق ، صـــ٩٦ .

ومن مطالعة هذه القصيدة التي تشبه في وقعها قصيدة حسن المرواني "أنا وليلى" وهي أيضًا قصيدة بكائية رمزية، وفيها يقول:

أضعت في عرض الصحراء قافلتي ۞ وجئت أبحث في عينيك عن ذاتي

وجئت أحضانك الخضراء منتشيًا ۞ كالطفل أحمل أحلامي البريئات[(١)]

أقول : ومن خلال قراءة نص الرشيد نجد أن أبعاد الزمان تتداخل في وعيه الشعري: فمرة يبكي على صباه، ومرة يرحّب بالمشيب، وثالثة يتألم على ذكرياته وشعوره بإدبار بهجة عمره، وفي كل هذا التداخل يظل الخيال عنده هو المكون الرئيس لصوره الأدبية، وهو القادر على الكشف عن مواطن الحسّ الجمالي في أشعاره.

(١) نقلاً عن موقع الموسوعة العالمية للشعر العربي، الشبكة العنكبوتية/ http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=83607 رقم القصيدة ٨٣٦٠٧ .

الفصل الثاني : الإنسان " الآخر " ويشمل :

المبحث الأول : آلام الإنسان

المبحث الثاني : آمال الإنسان

المبحث الأول : آلام الإنسان

مما لا شك فيه أن أي شاعر ما هو إلا أثر من آثار الإنسانية النبيلة السامية، وقد امتاز كثير من شعراء العصر الحديث في أدبنا العربي بيقظة الشاعرية وتتبعها لكل حادثة تحدث أو ظاهرة تمر في وطننا العربي .

والسمة الغالبة – موضوعيًا – على شعر عبد الله الرشيد هي التجسيد الحي الواعي والمتحرك لحياة الأمة وواقعها المأسوي، والذي يسهم الشعر المتفاعل فيها بالاستنهاض والاستشراق لواقع أفضل وخروج من طوق أمم الاستكبار والعداء المتفاقم للإسلام والمسلمين (١).

ولذا نراه يصب جام غضبه على هؤلاء الذين يدبجون أشعارهم في السُكر والعُهر والمدح الزائف وتغييب الناس عن الواقع، ويرى أن للشعر وظيفة أخرى، وهي التعبير عن قضايا الأمة وهموم الأوطان .

وتأمله يقول:

ليس شعرًا ما خدرتنا معانيه ۞ هو وألوى بصفحتيه الجمود

ليس شعرًا ما كان محض تصاب ۞ حشوه العهر والكلام الصديد

ليس شعرًا ما كان سكرة نشوا ۞ ن، عن الواقع المرير صدود

ليس شعرًا ما كان فيض اختلاب ۞ وأهازيج أذبلتها الحُقُود

---

(١) خاتمة البروق ، المقدمة بقلم عبد الله بن إدريس – رئيس النادي الأدبي بالرياض – ط النادي الأدبي بالرياض – الأولى ١٤١٣ ه – ١٩٩٣م ، صـ ١١ بتصرف .

..... ۞ .....

يـا خـدين القـريض عَـدِّ بصـمت ۞ مطبـــق فـــالكلام لـــص مريـــد

إن أولى قصـــــيدة باحتفـــــاء ۞ هـــي مـــا دبّـــج الصـــبي الشـــهيد(١)

وهنا تلمح وجهة الشاعر في شعره؛ حيث وجهه إلى ما يعبر عن هموم الإنسانية لا سيما هذه القضية التي وظف لها ديوانه " خاتمة البروق " وهي قضية فلسطين ذلك الوطن الجريح .

وبإعادة النظر في القصيدة السابقة نجد أن الشاعر يعمد للتكرار الذي يؤكد من خلاله المعنى المراد؛ فتكراره لجملة " ليس شعرًا " لم تأت لتجميل الأبيات وتحقيق عنصر الإيقاع فيها فحسب، وإنما جاءت لتؤكد المضمون الرئيس الذي أراده؛ ولذلك وجدناه بعد عدة أبيات يحدد ماهية الشعر الحقيقي – كما يراه – فنجده عنده هو ما يضرب على أوتار الإنسانية؛ فيحرك لواعجها ، هو تلك الأنشودة التي سطرها الشهيد بدمه، هو ذلك اللون من التضحية بالنفس التي لا تعدلها تضحية.

ويستخدم عبد الله الرشيد التصوير الشعري بوصفه وسيلة من وسائله في تجسيد الأبعاد المختلفة لرؤيته الشعرية؛ حيث يقيم من خلاله علاقات مختلفة بين الأشياء وهذه العلاقات لا تستطيع اللغة الاعتيادية خلقها، وهذا ما نجده في تصويره لمعاناة القدس الجريح بقوله :

ما جئت عاشق ترحال ولا كلفًا ۞ بالحسن بل جئت للأيام معتـــذرًا

---

(١) السابق، صـــ ٢٣ ، ٢٤ .

في سفح حطين قد خلّفت نائحة ✿ تبكي عليه جوادًا بات منعفـــرا

تبكي جواد "صلاح الدين" عفّره ✿ علج اليهود وعفّى بعده الأثـــرا

وخلفها من يتامى الحرب طائفـــة ✿ تنمّروا للوغى واستشرفوا الخطرا

والقدس في دمها الموّار صارخة ✿ من ذا يعيد لنا في عدله عمـــرا

من ذا يضمد جرحًا راعفًا ألما ✿ أمّن يزيل أسى في مفرقي انتشرا(١)

إن من روافد الصورة هنا تلك الصور المستمدة من التاريخ في ذلك اللون من الاستدعاء للشخصيات التاريخية التي كان لها أثر بارز في هذه القضية تحديدًا؛ فقد استدعى الشاعر شخصيتي: " صلاح الدين الأيوبي " الذي تبكي القدس على جواده الذي محىأثره اليهود –في صورة لمحو التاريخ المضيء – وكذلك شخصية " عمر بن الخطاب" وعدالته التي سادت الأرض.

واستدعاء هاتين الشخصيتين يصور حالة أسيانة تلوذ بالماضي ، في وقت وجدت فيه المعاناة **من** الحاضر وألمه ؛علها تستعيد –ولو في الخيال– صورة زمن العزة والكرامة في دفع حالة الخسة والجبن .

وقد جاء التصوير بوصفه أداة في نقل الانفعالات النفسية الموارة التي تتزاحم في نفسية الشاعر، ودونك هذا المشهد التصويري " والقدس في دمها الموار صارخة،

---

(١) خاتمة البروق صـــ ٣٢ ،٣٣ .

أمن يزيل أسى في مفرقي انتشرا "؛ لتجد تصوير المعاناة في عرض مشهد للغرق في الدم، والأسى المنتشر في مفرق الرأس، وكلها صور حزينة تنقل لك المشهد في درجة أرقى من اللغة العادية، درجة تعتمد على خلق مجالات لغوية جديدة في الربط بين الكلمات .

وفي لمحة شعرية أخرى يعبر الشاعر عن مشهد من مشاهد الإحساس بالضياع ؛ حينما يقف على عتبات الجامع الأموي في دمشق فيقول :

في الجامع الأموي صرتُ يمامةً ✿ ورقاء يصفق بالحنين جناحهـا

مذعورة اللفتات مائرة الهـوى ✿ ينساب بين الـراكعين صُـداحها

لم تلق وكرًا يستجيب لنوحهـا ✿ فانبتِّ في رهق الظنون نواحهـا

سـتعود أدراج الريـاح لعلهـا ✿ يومًا تبادلها الشـعور رياحُهـا

لا ليلها المسعور يُفني شـوقها ✿ وعساه يضحك للصباح صباحها[1]

إن الإنسان الآخر هنا هو الازدواج بين الوطن الضائع والتاريخ المضيء الذاهب؛ فاليمامة معادل موضوعي للإنسان الممزق الذي تحدث الشاعر بلسانه، هي اليمامة المذعورة التي لم تجد وكرا لنواحها، وتمزق هذا النواح في متاهات الحيرة والألم بين حاضر ضعيف، وماض عريق يمثله المسجد الأموي الكبير، بيد أن الشاعر لم يتعمد أن يختتم مقطوعته

(١) قنديل حذام ، عبد الله الرشيد، من اصـدارات النـادي الثقـافي الأدبـي بجـدة ١٤٣٧هـ، صـ٨٨ .

بهذا الأسى الشجي؛ بل ساق الأمل في البيتين الأخيرين فعساه يضحك للصباح صباحها .

وقد استخدم الشاعر تقنية " الصمت " في البيت الأخير ، "والصمت هو سكوت الشاعر عن إتمام كلامه قصدا ، إما بقطع الجملة عن الإفادة الظاهرة المنبنية على ما يقتضيه النظام اللغوي والنحوي ، أو بجعل بعض أسطر القصيدة – وبخاصة في الشعر الحر – فارغة إلا من النقاط ، التي يشير بها الشاعر إلى كلام لايستطيع التصريح به أو لايودّه "[١] فاكتفى شاعرنا بقوله : لا ليلها المسعور يفني شوقها ، ولم يكمل سياق الجمله ،الذي انتظره المتلقي وهو قوله " ولا نهارها كذلك "، وهذه التقنية من الاكتفاء بصدر الجملة ، ؛ له دلالة تعبيرية ؛ حيث ترك الشاعر مساحة للقارئ يتنفس من خلالها ، بطريقة اختزلت بقية الكلام .

والرشيد من الشعراء الذين لديهم وعي بواقعه العالمي، وتبدو مشاهد متنوعة في أشعاره تعبر عن هذا الواقع ، والوعي بواقع العالم في شعر الرشيد يتمثل في عدة سياقات منها ما جاء في عناوين قصائده لا سيما في ديوانه " نسيان يستيقظ"[٢] ومنها ما جاء في القصائد نفسها في الديوان نفسه، أو غيره من الدواوين، وهذا التنوع يكشف لنا عن قرب الشاعر من واقعه ، والالتفات إلى ما يجري في العالم العربي، حين يسير الآن هذا العالم على قدميه تجاه حتفه على أكثر من صعيد[٣].

---

(١) وقوفا بها : ثلاث ظواهر في الشعر العربي ، عبدالله الرشيد ، ط الدار العربية للعلوم ناشرون – الأولى ١٤٣٢هـ=٢٠١١م ، ص١٢.

(٢) طبعة دار الانتشار العربي ٢٠١٠م .

(٣) ينظر : ذاكرة الشعر وتذكّر الشاعر ، د/ محمد بن سعد الدكان، صـ٥٨ .

فعلى مستوى العنوان يقدم الرشيد لنا هذا العنوان مثلاً " تعليل واقعي للصمت العربي "[١] في صياغة توحي بقدرة الشاعر على انتقاء المفردات المناسبة المعبرة عن فكرة النص، فاختيار مفردة "تعليل "؛ لكشف ما لم يُكشف عن "العلة" العربية المتمثلة في "الصمت"، كما اختار مفردة "واقعي"؛ ليكون التعليل ناطقًا رسميًا باسم "الواقع" لهذا "العالم العربي الصامت" لا باسم "التاريخ" ولا باسم واقع آخر غير الواقع العربي[٢].

وفي هذه القصيدة نجد الشاعر يعبر عن ألم الإنسان العاجز الذي لا يملك إلا الكلمات والقصائد. وهذه الرؤية تعد توصيفا حيًا لواقع العالم العربي الذي أصبح لا يملك إلا الكلام ، ودونك قوله :

يا ابــن العروبــة لــيس ذا زمــن الفصــاحة...

فالبلاهة في البلاغة حين تركل بالقصائد غاصبيك

فابعـــــــث حروفـــــــك للمقـــــــابر

وادّرع صـــمتا مهابتـــه تـــراود شـــانئيك

وابـــــذل لروحـــــك ميتـــــة فصـــــحى

وإن عـــــــــــزّ الشـــــــــــريك

فبلاغـــــة العربـــــي فـــــي ذا العصـــــر...

---

(١) نسيان يستيقظ ، صـــ٢٤ .

(٢) ينظر: ذاكرة الشعر وتذكر الشاعر، صـــ٥٨، ٥٩ .

..... ألا يقبـــــل المـــــوت الركيـــــك[١]

فالرشيد يمنح هذا الاتجاه من التعبير عن آلام الإنسان "الآخر" خصوصية نصية تتمثل في واقعية التعبير التي تكشف عن علاقة الشاعر بزمانه وشعوره بآلام الإنسان المعاصر وآماله .

وتقنية "الصمت " أو " الاكتفاء " التي مثلتها هذه الفراغات التي تركها الشاعر في قصيدته ؛ تعبر تعبيرا جميلا عما يعتمل في نفسه ، وما أراد أن يتركه لقارئه ، فهذه النقاط هي حالة من حالات السكوت ، وهو سكوت يستدعي تفكير القارئ وبحثه عما يملأ بها هذه الفراغات ؛ لتتحقق قراءة أخرى للنص من قبل القارئ ، وبذلك تكتمل عملية التلقي ، وتكتمل نظرية الأدب التي تعني أن يتيح النص قراءات متعددة ، أو ما يعرف بـــ " القراءة المفتوحة للنص ".

وفي قصيدة "حلم سالم"[٢] يتمثل الوعي بواقع "الآخر" وهذا الوعي يتحقق في عدة سياقات، لعل أهمها عتبة العنوان "الحُلم" وهو الأمنية التي يبحث عنها الإنسان، وتكون تعويضًا عن تعذر تحققه في الواقع، واختيار اسم "سالم" رمزًا للإنسان النقي السالم من مظاهر النقص التي تعتري غيره من بني البشر.

وصياغة هذا العنوان تشي بالمضمون الرئيس للتجربة؛ وكأنها ترسم صورة لهذا الإنسان الذي تكتمل مواهبه ، ولكنه لا يجد لنفسه مكاناً

---

(١) نسيان يستيقظ، صـــ١١٦ .

(٢) أوراد العشب النبيل ، عبد الله الرشيد، مطبوعات نادي الجوف الأدبي ١٤٢٧هـــ-٢٠٠٦م، صـــ٤١.

في أرض الواقع ، فيبحث عنه في الأحلام، هذا عن العنوان، أما القصيدة نفسها فهي رمزية بكل ما فيها من مفردات وصور وطريقة كتابة ، والفراغات التي تركها الشاعر بين الأبيات وبعضها ، وكأنه لم يقل كل ما يجب أن يقال فاكتفى بهذا الفراغ الذي يمثل "الصمت والاكتفاء " لتذهب نفس القارئ فيه كل مذهب يقول الشاعر :

يجـــيء نهـــار ويمضـــي نهـــار...

ومـــــــــــا زال ســـــــــــالم

يبيـــــــــــع الســـــــــــلامْ

وفكـــــرّ يومًـــــا: ألا أرتقيهـــــا؟

فبـــدء الحقيقـــة أشـــواق حـــالم

وقـــام وفـــي قدميـــه جِـــلادٌ

وفـــي رئتيـــه زفيـــرٌ مقـــاومْ

ويرقـــى . . يتمـــتم: إنـــي عـــالمْ

وفاهمْ

وغانمْ

ويتبعهن بضحكٍ: و(سالم)

فتكملهـــا قهقهـــات الزمـــان المـــداهم:

ونـــــــــــــــــــــــــــــــادم

فيهـــــــوي بـــــــه درجٌ لا يســـــــاوم

.....

لـــــبعض المنـــــى أمـــــدٌ لا يجـــــيء

وبعـــض المنـــــى عهـــدهن الســـلالم

إن القصيدة ترسم عالمًا واقعيًا مؤلما تتفلت الآمال من بين أركانه، باحثة عن ملاذ آمن ، لكنها لا تجده إلا في الحلم، حلم هذا المعطاء الذي يبيع السلالم المنجية لغيره، تلك المراقي التي يرتقي عليها غيره، وهو ينظر في أسى ويطرح تساؤلا: وماذا لو ارتقيتها؛ لأكون مثل غيري؟ ويحاول أن يقنع نفسه أنه ليس دون غيره فهو "عالم، وفاهم، وغانم، وسالم"، لكن الزمن يداهمه بحقيقة مرة "ونادم"؛ نادم على عمره الذي ضاع وهو يبيع الأماني لغيره ، ولم يتحصل منها على شيء، ثم يفيق على الحقيقة المؤلمة حينما تهوي به السلالم التي يبيعها لغيره.

إنه الأمل الذي ينتهي بالألم، كل الناس يصعدون على صناعته إلا هو، كل الناس تنجو إلا هو.

ثم يختتم الشاعر قصيدته بالحقيقة الواقعية المعبرة عن واقعنا المعيشي، هناك من ينتظر المنى التي لا تجيء ،وهناك من يرتقي السلالم – والتي هي رمز واضح للتسلق والانتهازية – وليس معنى هذا الرمز أن

الشاعر يساعد غيره على ذلك ، لكن لعله يقصد أنه كان هو السلم الذي ارتقى وتسلق عليه غيره .

والرشيد هنا داخل النص، وخارجه؛ داخل النص إذا سلمنا – كما أشرت – إلى أن قصائده في مجملها تعبير عن تجاربه الذاتية، وهو في الوقت ذاته خارج النص إذا أسقطنا هذه التجربة على واقعنا الذي نعيشه والذي نرى فيه هذا الواقع المؤلم من الانتهازية، والتركيز على الذات.

المبحث الثاني : آمال الإنسان

عاش عبد الله الرشيد مع آلام الإنسان الآخر على نحو ما رأينا في المبحث السابق، ولم يغفل في أشعاره الإنسانية التعبير – أيضًا – عن آمال هذا الإنسان ، وما آمال أي إنسان إلا أن يعيش عيشة صافية لا كدر فيها ولا رهق، وما هدف أي إنسان إلا أن يرتقي في عالمه إلى عالم لا يشوبه الألم والصراع؟!

وهذا ما رأيناه في شعر "الرشيد " من خلال مطالعة أعماله الشعرية

ولذا رأيناه يخاطب هذا الآخر في صورة دعوة إلى التفاعل مع الحياة بقوله:

لـــونٌ بمـــاء الحلـــم ظنّـــك ۞ وامـــلأ بخمـــر الحـــبّ دنّـــك
واســـق انتظـــارك – وهـــو يعـــ ۞ ـــلك تمـــرة الأوقـــات – فنّـــك
وانظـــر فـــثمَّ غـــدٍ بلـــو ۞ ن غوايـــةِ نشـــوى تَحَنَّـــك[(١)]

ويظهر هنا أن شاعرنا يحاول أن يستفرغ جهده في دعوة مخاطبه – الذي قد يكون معادلاً موضوعيًا لذاته – إلى التفاؤل والاندماج مع الحياة.

وفي شعر الرشيد بحث عن الصورة المثالية للإنسان "الصديق" وهو يصور في هذا البحث نزعة إنسانية تبحث عن الأمل المنشود، والمثالية التي يبحث عنها هي أمله– ليس بوصفه شاعرا فحسب، وإنما بوصفه إنسانا – في إيجاد هذه الصورة للصديق .

وأيـــن مـــنهم فتـــى أخلاقـــه كرُمـــت ۞ مثـــل الرحيـــق مـــن الأزهـــار يعتصـــر

(١) الغمرات، عبد الله الرشيد، طبعة النادي الأدبي بالرياض، ٢٠١٩م، صـــ٢٧.

سامٍ عن اللؤم صدّيق وما صدقوا ۞ عبّار جسر إلى العليا وما عبروا

أكاد أرفعه – وهو الرفيع – إلى ۞ دنيا من النور، لولا أنه بشرُ[1]

وهذا البحث الاستثنائي عن هذا الصديق المثالي جاء بعد أن عرض الشاعر في بداية القصيدةِ التي عنونها بـــ" كلمات للوجوه الملفقة" صورة لهؤلاء المنتهكين لمعاني الصداقة، الذين يلوثون أطهر ما فيها بالغدر والذاتية المفرطة؛ ولذا طالعه يقول" من بحر البسيط " :

سام عن اللؤم صديقٌ وما صدقوا ۞ عبَّار جسر إلى العليا وما عبروا

إن استعمال "الخبن" في تفعيلة "فاعلن" لتصبح فعلن – وكأنها اختصار مقصود– يلخص الشاعر من خلاله الحقيقة المؤلمة في كذبهم، وعدم عبورهم إلى العلياء، ودونك كلمة "سامٍ" بما فيها من معنى التسامي والترفع عن الدنايا ، وهي الأمل المنشود في الصديق.

ومن خلال تصفح دواوين الرشيد يمكن للمتلقي أن يجد صورا كثيرة تعبر عن آمال الإنسان " الآخر" ، ويظهر فيها الوعي بواقع هذا الإنسان الذي لا يختلف كثيرًا عن الشاعر ذاته، ولعلي لا أجانب الصواب إذا قلت: إن شعر الرشيد – في معظمه – يعد معادلاً موضوعيًا لذاته وتجاربه، وإن كان ظاهر النصوص أنه يتحدث عن غيره "ومن خلال لغة النصوص يستطيع المتلقي أن يكشف عن علاقة الشاعر بأشياء كثيرة تشكل جزءًا من انتماء النص لديه[2].

ويجسد الرشيد آمال الإنسان في قصيدة "مجاذبات روح"[3]، هذه القصيدة التي ترسم في مطلعها صورة للإنسان الذي يضيع عمره دون

---

(١) حروف من لغة الشمس، صـــ٣٧ .

(٢) ينظر : ذاكرة الشعر وتذكر الشاعر د/ محمد الدكان، صـــ٦٠.

(٣) قنديل حذام ، عبد الله الرشيد ،صـــ٦٦، ٦٧ .

فائدة فيفتتحها بقوله:

أقسى من الموت عمرٌ ذاهب بددًا ۞ وأيّ يوم طريف لا يذوب سُدى؟

وفيها يطالعنا الشاعر بهذه الصورة التي يرسم فيها أمله فهو يخاطب غيره ليصنع زمانه بنفسه، ويكتب حياته بالطريقة التي يريدها، ويزرع الأمل في روحه؛ لتتحول إلى جنة وارفة الظلال على أرض واقعه، وذلك في قوله :

هذا الزمان الذي شاخت أناملـه ۞ ما عاد يُحسن لا خطًا ولا عددا
وأنت في يدك الأقلام زاهية ۞ والطّرس منتشيًا والحرف متّقدا
فصغ زمانًا على ما تشتهي ألقًا ۞ واكتب حياةً على ما تبتغي رشدا
ما قيمة المرء لم يزرع له أملاً ۞ ولم يكن باخضرار الروح معتقدا؟

وطالع هذه الصورة المتضادة بين الزمان الذي شاخت أناملـه، والإنسان الذي أبدعت الأقلام في يده ؛ لتجد فيها التوفيق والتوازن النفسي بين الشاعر والحياة، فمهما عبست الأيام واكفهرت فعلى الإنسان أن يلونها بلون نفسه ويسبغ عليها من روحه ،"والخيال في الصورة هو القوة التركيبية السحرية التي تخلق توفيقًا وتوازنًا بين الصفات المتضادة أو المتعارضة أو المتشابهة[١].

إن الصورة الذي رسمها الشاعر لهذا الزمان الذي شاخت أناملـه فلم يعد يُحسن الخط ولا العدد ؛ إنما هي صورة لواقع الشاعر، وقد استطاع أن يلونه بلون ذاته ؛ حينما عبر في صورة أدبية يخاطب فيها الأمل عند الآخرين ليحرك في دفائنهم روح التعايش مع الحياة وزرع الأمل فيها.

---

(١) البُنى الفنية ، دراسة في شعر مجد الدين النُشابي، د/ فارس ياسين محمد الحمداني ، د ط ٢٠١٤م – ١٤٣٥هـ ، صـ١٨٥ .

فالتخيل الشعري هنا يؤكد الوضع التبادلي بين مظاهر القبح المتمثلة في الزمان الشاحب ، ولين الجمال المتمثل في الإنسان الذي يلّون المكان بجمال نفسه، وهو حريص في شعره على استقرار كل لفظة في موضعها في التعبير الشعري .

ولم يغفل" الرشيد " – وهو يعبر عن آمال الإنسان الآخر– هذا الحلم العربي الكبير الذي يُعد أملاً للأمة العربية والإسلامية بأسرها ؛ وهو أمل خلاص المسجد الأقصى من دنس اليهود، وقد يكون ديوانه الأول "خاتمة البروق" هو الدلالة الواضحة على كون هذه القضية تشكل هاجسًا يراوده ، ويؤرق حسّه الأدبي فجاء الديوان معبرًا عن ثنائية : الألم والأمل(١).

وطالع قوله معبرًا عن آمال القدس ، وهو يذكر المكان وتجلياته ويقصد أهله، يقول الرشيد :

والقدس في دمها المـوّار صارخة ۞ من ذا يعيد لنا في عدله عمرا؟
من ذا يضمد جُرحًا راعفًا ألَمًا ۞ أمّن يزيل أسى في مفرقي انتشرا؟
ومسجد الصخرة الأقصى اشتكى لهفا ۞ ألا نرتل في محرابه السورا(٢)

فأمل القدس معقود بالصورة الماضية المشرقة المتمثلة في عدل "عمر" وهو استدعاء للشخصيات الإسلامية في شكل من أشكال " التناص

(١) لصاحب هذا البحث دراسة عن العناوين في الديوان ولعلها وقفت على هذا الجانب الموضوعي في شعر الرشيد . ينظر :ديوان خاتمة البروق – مقاربة سيميائية للعناوين بحث منشور، دكتور/ ماهر الجبالي، مجلة قطاع كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها بالقاهرة – العدد الثاني عشر ٢٠١٨م .

(٢) خاتمة البروق، ص٣٣.

التاريخي " وهو استدعاء مقصود يهدف إلى تحريك الواقع واستلهام الماضي ؛ فالأمل هنا البطل القادم الذي يعيد أمجاد الماضي ، وتضميد الجروح النازفة، وإزالة الأسى المنتشر في مفرق رأس القدس ، وإعادة الضحكات للمسجد الأقصى الذي أصبح دأبه البكاء والنحيب والحسرة .

واستدعاء الشخصيات التاريخية ، وارتداد الشاعر المعاصر إلى الموروث بشكل عام يمثل ارتباط الشاعر بهذا الموروث، وتوثيق العلاقة به ، وتمكن الشاعر من الخروج عن نطاق ذاتيته إلى نطاق أعم مستمد من الماضي ؛ ليصور تجربة الإنسان المعاصر بصورة عامة(١).

إن الصورة هنا قد تكونت من علاقة الشاعر بالزمان والمكان، فالصورة تقف بين الزمان المتمثل في عهد عمر وعدله، والمكان المتمثل في بيت المقدس والمسجد الأقصى، وقد وفق الشاعر في استخدام الأفعال المعبرة عن هذه الصورة ؛ فالفعل المضارع بدلالته على المستقبل له وقع الأمل المنتظر "من ذا يعيد، يضمد، يزيل"، والفعل الماضي يأتي معبرًا عن واقع حدث في قوله : ومسجد الصخرة الأقصى اشتكى لهفا .

فمدونة الزمن بأفعاله تعكس مدونة الحالة النفسية للشاعر الذي يعيش على الأمل ؛ ولذا زادت الأفعال المضارعة هنا استشرافاً للمستقبل المأمول، وقد ظل هذا الاستشراف مصاحبًا له حتى نهاية القصيدة، فلم يستغن عن الفعل المضارع بدلالته المستقبلية ، وطالع قوله :

---

(١) ينظر :استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د/ على عشري زايد، ط
دار الفكر العربي ١٩٩٧م ، ص١٥ وما يليها . .

يا شعب حطين إني لم تزل ثقتي ۞ بالله معقودة للنصر منتظرا[1]

وحرف "لم" هنا وإن كان قد قلب المضارع ماضيًا؛ إلا أن المقصود ما زالت وستظل معقودة بالله ، ولعل كلمة منتظرًا تؤكد هذا.

وقد استمد هذا الأمل من الدين الحنيف على حد قوله :

ديني الذي أنقذ الأجيال من وحل ۞ تخبطت فيه تشكو الأين والضجرا
أراق في مهجتي الإيمان فانطلقت ۞ بشائر الفتح تحدو الفوز والظفرا[2]

وفي أكثر من مشهد شعري آخر يجعل الشاعر من القضية العربية الفلسطينية هاجسًا يؤرقه؛ ليحرك تجربته الشعرية تجاه هذا الحدث الإنساني ، فيهتف معبرًا عنه في غير موضع، وتأمل مخاطبته للفلسطيني الذي يحمل الحجارة يواجه بها الاحتلال الصهيوني الغاشم:

قف خلف روحك وابق محتدمًا

فالمجد يبغي النفس محتدمة

لا يفلتنّ يهودُ إن لهم

يومًا تأججُ عنده الحطمة

حجر الحماسة بات فوقهم

صعقًا يبثُّ شموخ من رجمه

---

(١) خاتمة البروق، صـ٣٥ .

(٢) السابق والصفحة .

عقـــــدًا مـــــن الأمجـــــاد تنظمـــــه

والعقـــد لـــن ينســـى الـــذي نظمـــه[١]

إن الشعراء هم أكثر الناس تحملاً في سبيل رسالتهم الأدبية، وفرق كبير بين من يعيش لذاته، ومن يعيش لغيره.

و "الرشيد" في تناوله قضية فلسطين لا يفرغ طاقته الشعرية في البكاء والأنين بقدر ما يسوق الأمل الدائم والتفاؤل والعزيمة في صورة البطل المخلص الذي يراه دومًا هو "بطل الحجارة"، فلن ينقذ فلسطين ندوات أومؤتمرات، وإنما سينقذها وليدها الذي يحمل في يده الحجارة وفي قلبه الإيمان، وقد أكد على هذا المعنى في غير موضع من أشعاره، وطالعه في ديوان خاتمة البروق يقول :

فقل لمن خالنا ننسى كرامتنـــا ✿ إن الحجارة أولتنـــا العـــلا قـــدرا

وقل لمن نسي الأبطال: إن هنا ✿ شعبًا تلفّع بالرايـــات وائتـــزرا[٢]

لقد حمل شعر"الرشيد" في هذا الجانب تمجيد البطولات والإشادة بالشهداء وتصوير تمسك الشعب الفلسطيني بأرضه، ولم يقف شعره فقط على تصوير مآسي هذا الشعب وما حدث له من ظلم وقهر، بل نراه– دائمًا– يضرب على وتر الحق الذي لن يعود إلا بالقوة والنضال.

---

(١) نسيان يستيقظ: عبد الله الرشيد، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت، لبنان، الطبعـــة الأولى ٢٠١٠م صـــ٢٨.

(٢) خاتمة البروق، صـــ٣٤ .

ولعله هنا لم يستخدم (الإنسانية) بمفهومها الغربي العلماني ، الذي يرفض هذه الفكرة، أي فكرة تصوير معاناة الفلسطينيين، وذم الصهاينة؛ لأنها تساوي بين اليهودي المغتصب والفلسطيني المشرّد.

وهذا مما يدعم توجهي من أن الإنسانية التي أقصدها ليست هي الإنسانية التي تحدث عنها الغرب ، وتتوافق مع معتقدهم وميولهم .

إن "عبد الله الرشيد" في قصائده المعبرة عن آمال الإنسانية يعي جيدًا دور الشعر والشاعر في تحريك الوعي تجاه الواقع العربي الراهن، وهو بهذا يؤكد إيمانه "بأن الشعر لم يكن في أي زمن ترفًا بقدر ما هو ضرورة، فكل شيء يستمد قيمته من وظيفته"(١).

(١) حول دور الشعراء في زمن الشر السائل مقالة للدكتورة/ آمال موسى ، صحيفة الشرق الأوسط الإلكترونية https://aawsat.com/home/article/1302686 ،رقم المقال:(١٤٤٤٦) نشر بتاريخ ٢٠١٨/٦/١٧م .

الخاتمة

انتهت هذه الدراسة الموسومة بـــ"النزعة الإنسانية في شعر عبد الله الرشيد" بعد أن تطرقت إلى دراسة أبعاد الرؤية الإنسانية التي انطلق الشاعر السعودي "عبد الله الرشيد" إلى تصويرها وتجسيدها في أشعاره، وذلك في دواوينه الشعرية المختلفة.

ويجدر بي أن أسجل هنا أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، وتتمثل فيما يلي :

١- رصد البحث اتجاهين للنزوع الإنساني في شعر الرشيد؛ أحدهما في تصوير الذات: أي النزوع الإنساني في شعره تجاه ذاته وعلاقاته بالآخرين، وقد بدأت به ؛ لأن الذات تسبق الآخر، والثاني : في تصوير الآخر أي النزعة الإنسانية في شعره تجاه غيره .

٢- وجدنا أن الشاعر يتفاعل بشكل لافت مع قضايا الآخرين وتصوير آمال وآلام المحيطين به بصورة كبيرة شغلت حيزًا في أعماله الشعرية يكاد ينفرد به ديوانه: "خاتمة البروق".

٣- لاحظنا أن الجانب الأكبر في التعبير عن النزعة الإنسانية كان في تركيز الشاعر على قضايا الذات وعلاقة هذه الذات بالحياة والزمن، وقد تحقق ذلك في بقية دواوينه: حروف من لغة الشمس، ونسيان يستيقظ، وأوراد العشب النبيل، وديوانه الأخير: الغمرات، الذي يشتمل على ديوان آخر بعنوان المثنويات... كل هذه الأعمال عبر الشاعر من خلالها عن تجربته الذاتية، ونزعته الإنسانية التي تتراوح بين الرضا والقبول لأفعال الناس والذات، اتكأ الشاعر في ذلك على المعايشة الواقعية التي نقل

مشهدها في أسلوب أدبي رقراق، مستخدمًا تقنيات فنية متنوعة كالتناص، والاكتفاء، وغيرهما .

٤- تبين لنا أن أهم ما يتميز به شعره: نزعة الصدق التي يلحظها القارئ، لا سيما في اعترافه بعجزه الإنساني في كثير من أشعاره، وأيضًا في نقل بعض المشاهد الإنسانية التي تعبر عن فلسفة الحياة تجاه الصداقة والوفاء، وغيرهما.

٥- رصدت الدراسة ظاهرة علاقة الشاعر بالزمن، وكيف أن الزمن في شعر الرشيد يمثل أيقونة فريدة، أو وترًا مميزًا ضرب عليه أروع الألحان، وأبدع من خلاله أعذب الموسيقى ، فقد تخطى الشاعر في تصوير علاقته بالزمان حاجز الزمن، وتسلق أسوار الوقت، وعبر عن التوافق بينه وبين زمانه، كما نقل لنا قدرته على ترك الخضوع لسطوة الزمن، وأن الزمن عنده كتلة واحدة، رافضًا في كثير من مواطن شعره عقدة الزمن النمطية .

٦- أثبتت الدراسة أن الشاعر لم يسلم- في بعض أشعاره- من الاستسلام لسطوة الزمن حينما لم يتمكن من ترويضه، ولم يستطع أن يجسّر العلاقة بينهما فافتقد جلال الصمت وأعلن الاستسلام – كغيره من الشعراء- لجبروت الزمن وصروفه، فبدأ يبحث عن ذاته في مشاهد الهرم والشيخوخة، وفي قلقه من الحياة وتقلباتها .

٧- كشف البحث أن اعتداد الشاعر بذاته لا يعني الغرور بقدر ما يعني اعتزال الحياة في شكل غربة روحية بعيدة عن التناقضات والازدواجيات التي تنطوي عليها كثير من نفوس المحيطين به، وهذا يجعلني أختلف مع الباحث

الذي قام بدراسة شعره واتهمه في الخاتمة[١] بأن هذا الاعتداد بالذات جعله يلجأ إلى الوضوح الذي أضعف شعره. بل إنني أرى أن هذا الاعتداد هو ما رسم أمامي صدق الشاعر، ونقل المشهد الإنساني الذي يعيش بداخله من شعوره بالأسى والأسف على من تردوا في مهاوي السقوط الإنساني مجاملة أو نفاقًا أو سيرًا في ركاب المداراة، فأبى لنفسه أن يكون في هذا الركب البغيض، وآثر العزلة الروحية التي جعلته ينتج هذا الإنتاج الأدبي الرصين، الذي يعبر عن النزوع الإنساني ليس عنده وحده بل عند غيره ممن يسيرون في ركاب الصدق مع الذات والصدق مع الآخرين، وينأون بأنفسهم عن السير وراء كل صيحة ناعق تجعل الإنسان يسقط أمام نفسه قبل أن يسقط في عين غيره.

** وفي الختام – وقبل أن أضع قلمي إيذانًا بالفراغ من هذه الدراسة – لا أجد غضاضة في أن أعترف بأن معايشتي لشعر الرشيد أضافت الكثير إلى محصلتي اللغوية والأدبية والإنسانية، وأثرت قراءاتي لتجاربه الشعرية في وجداني؛ لأنني وجدت نفسي أمام شاعر من طراز فريد؛ شعر ينحته القلب ويرويه الفم – على حد قوله – فكانت دراستي هذه هي الدراسة الثانية لأشعاره؛ حيث إنني لم أكتف بالحب الصامت الذي يرضى فيه صاحبه بتأمل حسن المحبوب، بل حاولت أن أتعرف– من خلال دراستي الثانية هذه عن شعره – إلى عالمه الشعري فكانت هذه المعايشة التي أرجو الله – تعالى– فيها التوفيق والسداد والبعد عن الزلل والخذلان، وألا أكون قد امتطيت صهوة الشطط أو ركبت ركب المجاملة... إنه ولي ذلك والقادر عليه .

د/ماهر الجبالي

(١) ينظر: عبد الله سليم الرشيد حياته وشعره، مانع الشمّري ، صـــ١١٤، ١١٥ .

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع:

١- الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، د/ مفيد محمد قميحة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

٢- أدب المهجر ؛ عيسى الناعوري ، طبعة وزارة الثقافة ، عمان ٢٠١١م.

٣- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د/ على عشري زايد، دار الفكر العربي ١٩٩٧م

٤- أوراد العشب النبيل ، عبد الله الرشيد– ديوان شعر – مطبوعات نادي الجوف الأدبي ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

٥- البُنى الفنية ، دراسة في شعر مجد الدين النُشابي، د/ فارس ياسين محمد الحمداني ، د ط ٢٠١٤م – ١٤٣٥هـ.

٦- تجريد الفن من النزعة الإنسانية ، تأليف : حوسيه أورتيغا أي غاست، ترجمة : جعفر محمد العلوي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠١٣م.

٧- تجليات النزعة الإنسانية في شعر عيسى الناعوري، د/ محمد علي الذيابات – كلية الآداب بجامعة الحسين بن طلال – المملكة الأردنية الهاشمية – دون ط،ت.

٨- التذكرة الحمدونية، لابن حمدون ، تحقيق /إحسان عباس ، وبكر عباس ، دار صادر، بيروت ، الأولى، ١٤١٧ هـ.

٩- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، تحقيق / أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

١٠- حروف من لغة الشمس، عبدالله الرشيد – ديوان شعر – دار المعراج الدولية للنشر، الطبعة الأولى عام ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م .

١١- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، د/ ماهر حسن فهمي ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م.

١٢- خاتمة البروق ، عبدالله الرشيد – ديوان شعر– ، النادي الأدبي بالرياض – الأولى ١٤١٣ ه – ١٩٩٣ م.

١٣- دراسات في الشعر العربي المعاصر، د/ شوقي ضيف ،دار المعارف – مصر– ١٩٧٩م.

١٤- ديوان خاتمة البروق لعبد الله الرشيد مقاربة سيميائية للعناوين، د/ ماهر فؤاد الجبالي ،بحث منشور في مجلة قطاع كليات اللغة العربية، والشعب المناظرة لها – في القاهرة، العدد الثاني عشر ٢٠١٨م.

١٥- ديوان سلام على البرده للشاعر نايف الهريس دراسة موضوعاتية تناصية د/عموري السعيد ط الغرير للطباعة والنشر – دبي ،د: ت.

١٦- ذاكرة الشعر وتذكر الشاعر – التجربة الشعرية لعبدالله الرشيد ، بقلم د/ محمد بن سعد الدكان –نادي أبها الأدبي ، الأولى٢٠١٣م .

١٧- الشعر العربي الحديث ، د/ سوسن رجب ، مكتبة المتنبي بالرياض ٢٠١٧م.

١٨- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د/ عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، سنة ١٩٩٤م.

١٩- شعر فاروق شوشة بين الرؤيا والإبداع ، د/ محمد السيد سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م.

٢٠- عبد الله الرشيد حياته وشعره ؛ مانع بن خلف بن جلاب الشمري ، دار أمجد للنشر والتوزيع– الأردن – ٢٠١٧م.

٢١- الغمرات، ويليه ديوان المثنويات ، عبد الله الرشيد– ديوان شعر – النادي الأدبي بالرياض ٢٠١٩م.

٢٢- القصيدة الرومانسية في مصر ، د/ يسري العزب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦.

٢٣- قنديل حذام، عبد الله الرشيد– ديوان شعر – من إصدارات النادي الثقافي الأدبي بجدة ١٤٣٧هـ.

٢٤- الكتابة بين الموضوع والفن، د/ عبد الرازق حسين، مكتبة المتنبي ، الأولى ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

٢٥- نسيان يستيقظ، عبد الله الرشيد– ديوان شعر – مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
٢٦- وقوفاً بها، ثلاث ظواهر في الشعر العربي الحديث، عبد الله الرشيد ، الدار العربية للعلوم ناشرون ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

ثانيا :الصحف والمجلات :

- جريدة الجزيرة الثقافية العدد ٣١٠ ، الخميس ٢٩جمادى الأولى ١٤٣١هـ.

ثالثا :الأحاديث الإذاعية :

- برنامج " متعة الأدب " على قناة المجد السعودية بتاريخ ٢٠١٤/٥/٩م.

رابعا :المواقع الإلكترونية :

- https://aawsat.com/home/article/1302686( )حول دور الشعراء في زمن الشر السائل مقالة للدكتورة/ آمال موسى ، صحيفة الشرق الأوسط الإلكترونية ، نشر بتاريخ ٢٠١٨/٦/١٧م.
- https://www.alwatan.com.sa/article/9129( )الشعراء والزمن والريف والمدينة ،مقالة لأحمد التيهاني ، موقع الوطن أون لاين – الشبكة العنكبوتية، نشر بتاريخ ٢٠١٢/١/١٨م .
- http://www.al-jazirah.com/2018/20180210/cm17.htm( )عبد الله الرشيد صائد الفرائد– د/ سالم السميري ، مقال بصحيفة الجزيرة الإلكترونية – تصدر عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر بالرياض، منشور بتاريخ ٢٠١٨/٢/١٠م .

ثبت المحتويات

الملخص.....٢٢٢٣
المقدمة ٢٢٢٥
مشكلة الدراسة:.....٢٢٢٦
دوافع الدراسة: ٢٢٢٦
أهداف الدراسة: ٢٢٢٧
أهميَّة الدِّراسة: ٢٢٢٧
الدراسات السابقة : ٢٢٢٨
منهج الدراسة:.....٢٢٣١
التمهيد:.....٢٢٣٢
المحور الأول : مفهوم النزوع الإنساني : ٢٢٣٢
المحور الثاني : الشاعر في كلمات.....٢٢٣٥
الفصل الأول : " الإنسان الذات" ٢٢٣٨
المبحث الأول : إبراز نقائص النفس ٢٢٣٩
المبحث الثاني : الجنوح إلى الكمال ٢٢٥٠
المبحث الثالث: الذات والزمن.....٢٢٦٠
الفصل الثاني : الإنسان " الآخر " ويشمل : ٢٢٧٢
المبحث الأول : آلام الإنسان.....٢٢٧٣

المبحث الثاني : آمال الإنسان.....٢٢٨٣
الخاتمة.....٢٢٩١
ثبت المصادر والمراجع.....٢٢٩٤
أولا: المصادر والمراجع:.....٢٢٩٤
ثانيا :الصحف والمجلات : ٢٢٩٦
ثالثا :الأحاديث الإذاعية :.....٢٢٩٦
رابعا :المواقع الإلكترونية :.....٢٢٩٦
ثبت المحتويات ٢٢٩٧